الفنون

مجلة شهرية

تصدر في نيويورك

رئيس تحريرها نسيب عريضه

قيمة اشتراكها خمسة ريالات اميركية في كل مكان

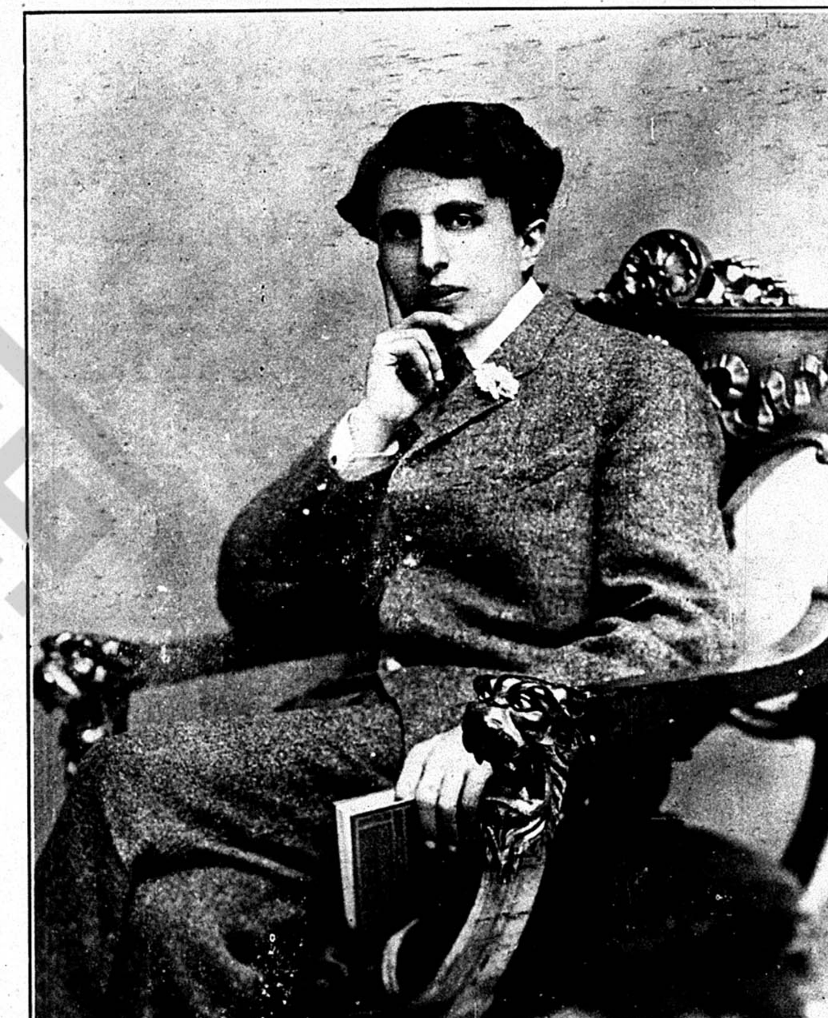
المراسلات الى هذا العنوان

AL-FUNOON
104 WASHINGTON St.,
NEW YORK.

تشرين الاول سنة ١٩١٢

الجزء السابع — السنة الاولى

محتويات هذا الجزء



امين الريحاني

الشيطان

للشاعر الروسي

لرمونتوف

﴿ القسم الاول ﴾

١

حلّق الروح الكئيب الطريد المدعو شيطاناً فوق الارض الاثيمة طائراً في الفضاءِ . واخذت تتوارد الى ذاكرتهِ بازدحام تذكارات سعيدة ـ تذكارات تلك الايام اللذيذة التي كان فيها شاروبياً في مسكن النور، طاهراً، متالقاً اكثر من الشمس، حينما كانت النجوم السيارة والشهب تبتسم له وتحييه بلطف وهي تمر امامه في السماء، حينما كان يحب مراقبة القوافل السائرة من خلال الضباب الابدي طامعاً في اكتساب وتوسيع معارفه، عندما كان يؤمن ويحب مفتخراً بسعادة كونه اول مخلوق في السماء، حين لم يكن يعرف الشر ولا الشكوك ولم تكن صفوف الاجيال العقيمة الكئيبة تهدد عقله وتسبب له الضجر . وكثير من التذكارات المؤلمة غير هذه ازدحمت عَلَى باب ذاكرته حتى لم يبقَ له قوى عَلَى احتمالها.

٢

انهُ من زمان بعيد يخبط عَلَى غير هدى في فضاء هذا العالم بلا غاية ولا مأوى . تمر امامه الاجيال كالثانية اثر الثانية عَلَى نمط واحد · وكان يزرع الشر دون ان تكون له لذة فيهِ ولم يصادف قط مقاومة في نشر هذا الفن حتى سئم الشر ·

٣

والان حلق فوق قمم جبال القوقاس فظهرت تحتهُ قمة كازبك المغطاة بالثلوج الابدية تلمع كماسة ، وتحتها في الاسفل بين الشقوق والمضائق يجري نهر تيريك كالنمر الهائج يملأ الفضاء بزئيره ، فتصغي الوحوش الجبلية والنسور بامعان الى كلام مياهه الثائرة ، وترافقهُ الى الشمال الغيوم الذهبية القادمة من الجنوب ، وتحني الصخور المتراكمة رؤُوسها فوقه مراقبة امواجه وهي ممتلئة نعاساً سرياً .... وظهرت له عَلَى ابواب الجبال ابراج القلاع القائمة كالجبابرة تحرس مداخلها وكان كل ما هنالك رائعاً آبداً غريباً خارق الطبيعة مدهشاً · غير ان الروح المتكبر رمق ذلك بعين الاحتقار وحول وجهه الى جانب آخر ....

٤

لاح امامه مشهد آخر مزخرف ومنمق بالوان حية مدهشة : تلك وديان الكرج وقد امتدت كبساط موشى بازهى الالوان · ذلك قطر

سعيد من اقطار الارض ، فيهِ منحدرات مكسوة بالاشجار الباسقة ، وجداول منسابة يخبر خريرها باسرار تهمسها الطبيعة ، وخمائل من الورد تشدو عليها البلابل بصوت مطرب ترانيم الحب للغانيات الكرجيات ، واشجار من الدلب تكوّن اروقة غضة كثيرة الظلال ، ومضائق عميقة بها تختبئ الوعول في حمارة القيظ — يتالف من كل هذا جمال يلمع ، وحياة تبسم، ما بين حفيف الاوراق ، وصدى لغط الاصوات الكثيرة ، وتنفس الالوف من النباتات ، وتصعد انفاس الهاجرة التي يلذ فيها الهيام ، والليالي المرطبة ابداً بارج الندى ، والنجوم اللامعة كعيون غادة كرجية محرقة — كل هذا يجلب السعادة للقلب والدهشة للعين · غير ان كل فخامة هذه المشاهد الطبيعية لم تُثر في صدر الروح الطريد عواطف جديدة بل نظر اليها كلها باحتقار وكره ·

٥

عَلَى الصخور قام صرح شامخ بناه لنفسه الامير الشيخ كودال فكلف عبيده عناءً كبيراً ودموعاً كثيرة · توطدت اساساته في عمق احضان الصخور وشمخت ابراجه الى السماء فكان الصباح يرمي ظلال ذلك البناء الشاهق عَلَى الجبال القريبة فتنتشر عليها معلنة سيادتها · وكان في الصخر درج قد نقر فيهِ لينزل عليهِ من البرج الى السهل، وعليهِ كانت تنحدر اكثر الاحيان الاميرة تامار ابنة غودال ذاهبة للاستقاء من نهر اراكفا ·

٦

كان السكون يسود في ذلك الصرح دائمًا ويرمي بظلاله الهادئة الى الوديان، ما عدا هذا النهار ، فان فيهِ حفلة قائمة وليمة عظيمة اقامها الشيخ كودال احتفالاً بزفاف ابنته الى امير شاب فرنت الاوتار وصبت الخمور وحضرت كل اسرة كودال من النواحي القريبة للمشاركة في العرس وكانت العروس جالسة في علية بين اترابها يقضين الوقت بالمزج والانشاد واللعب والطرب . فى آخر النهار قامت العروس للرقص فاخذت الفتيات في التصفيق عَلَى نغم الاعواد واخذت ثامار الدف بيدها وادارته فوق راسها وبدأت بالرقص ، فكانت تارة تنساب في رقصها بسرعة الطائر وخفته ، وطوراً تقف وترنو بطرف لامع فتان ثم تنحني قليلاً ورجلاها الجميلتان تزحفان سابحتين فوق الطنافس . وكانت حركاتها ساحرة ووجهها ممتلئًا بفرح الشباب .

٧

اقسم بنجوم الليل واشعة الشروق وشفق الغروب ان ملوك الغرب وسلاطين الشرق لم يلثموا قط وجنة كوجنتيها ، ولم يروا عيناً كعينيها ، وان مياه فوارات دور الحرم في بيوت امراء الشرق لم تغسل قط قامة احسن منها ، وان عشاق الارض باسرهم لم يتوصل احدهم الى نيل نظرة من ضفائر انيقة كضفائرها ، وانهُ لم تُخلق حسناء مثلها تحت شمس الجنوب

منذ اغلقت ابواب الفردوس .

٨

نسيت ثامار العالم الارضي باسره إذ كانت محتدمة مستسلمة باجمعها الى وطيس الرقص . وكان النسيم يلاطفها ملاعباً ضفائرها الذهبية وعصابتها الحريرية ولم يكدر صفاء ملامحها السماوية سوى بعض شكوك كانت تلامس قلبها كالغيوم اذ تمر امام الشمس : عَلَى ان كل حركاتها كانت منظمة يديرها اعتدال قوامها وجمالها تزينها البساطة الطبيعية اللطيفة ، فلو نظر اليها الشيطان في هذا الوقت لطرح عنهُ ذكرى ما مضى وتنهد .

٩

عَلَى ان الشيطان كان ناظراً كل ذلك من الجو . . . فاحس بهياج لا يفسر في داخله دام لحظة واشعل في صحراء نفسه المظلمة اشعة الحب فادرك للمرة الاولى بعد سقوطهِ علو قدس الاقداس وعالم الحب والجمال . بقي مدة طويلة يمعن في جمال هذا المشهد البديع معجباً بهِ وعادت الى الحياة في نفسه سلسلة طويلة من التذكارات الماضية تتلو الواحدة الاخرى كالكوكب يطلع بعد الاخر وقد نظمتها قوة غير منظورة فشعر في داخله بفكر جديدة وتكلمت فيه عواطف جديدة بلغة قد كان يعرفها فيما مضى منذ القدم . أ كان ذلك علامة تجديد فيه وولادة ثانية له ؟

ماذا طرأَ عليهِ ؟ فقد حاول ان يفتش في عقله عن كلمات الاحتقار والهزء ليطرحها عَلَى هذا المشهد ولكنهُ لم يجدها — العل الاولى له ان ينسى ما رأى ؟ ولكن الله لم يهبهُ قوة النسيان — ومع ذلك لو خيره ان يختار النسيان في هذه الدقيقة لما اختاره ....

١٠

كان الشاب العروس قد وصل اذ ذاك الى ضفاف نهر اراكثا الخضراء واخذ يحث حصانهُ لكي يصل الى وليمة العرس قبل غروب الشمس، وكان وراءه سلسلة طويلة من الجمال المثقلة بالهدايا التي جلبها معهُ لعرسه. وهو وحده ـ امير سينوندال يقودها جالساً في سرجه بعظمة وخيلاء. سيفه عَلَى جانبهِ وبندقيته عَلَى كتفهِ وخنجره في منطقتهِ وملابسه وزينة فرسه تتكلم عن الجمال والغنى . اما فرسه الذي كان علقاً نفيساً من جياد الخيل فكان يتهادى في سيره وقد نصب اذنيه يخب في تلك الثنية الضيقة بين الجبال والى احد جانبيها هوة هائلة والى الجانب الاخر جبال شامخة تناطح السحاب .

آذنت الشمس بالغروب واوشك الظلام ان يعم فحث الامير فرسه واسرعت القافلة في سيرها لكي تدرك محط رحالها قبل حلوكة الظلام.

١١

لاح معبد صغير قائم بين الجبال الى جانب الطريق التي سار

عليها الامير . ضمن هذا المعبد دفنوا اميراً مات قتلاً بيد ثائرة فرفعه الناس الى مصافِ القديسين فلم يكن احد يمر بالمعبد سواء كان ذاهباً الى وليمة او الى حرب دون ان يدخله ويصلي فيه بضع دقائق بايمان وحرارة وكان الاهلون يعتقدون ان تلك الصلاة الوجيزة تنقذ المسافر من خناجر اللصوص ورصاص القتلة . غير أن الامير الشاب مر دون ان يدخل المعبد كارهاً ان يتم اعتقادات القدماء التي يحسبها خرافات، أو لان الشيطان زين له ان يسرع الى لقاء عرسه ومثل له في جنح الديجور ثغرها الجميل فخيل له انه يقبلها .... واذا باشباح ظهرت في الطريق وتلاها وميض نور ودوي رصاص البنادق فهجم الامير غير مبال عَلَى اللصوص وتلا ذلك جلبة وصراخ شديد وانين اصم تعكر من اصواتها صفو تلك الوديان واسفرت الموقعة عن ظفر اللصوص وهرب خدم الامير بعدما جبنوا في القتال .

١٢

سكن كل شيء .... وازدحمت الجمال مذعورة حول جثث القتلى وكان طنين اجراسها يرن في قلب سكون الليل . نُهبت القافلة كلها ولم يبق سوى جثث بعض الكرجيين القتلى وطيور الليل تحوم عليها. تلك الجثث سوف لا تلقى راحتها الاخيرة تحت صفائح قبور ابائها في الاديرة المقدسة الفخمة ، ولا تأتي الامهات والاخوات لتبكي عليها

مرخيات الشعور ، لاطمات الخدود ، ولكنها ستبقى هنا بعيدة عن مواطنها وسيقيم احد الانقياء عَلَى ضريحها نصباً خشبياً يلتف حوله متعرش النبات في الربيع وتكسوه الخضرة والنضارة فيلقي عَلَى الاموات افياءه ، فيراه المار المتعب ويعرج عن طريقه ليستريح في ظلاله مستأنساً .

١٣

عدا فرس الامير مسابقاً الرياح في مسيره والشرر يتطاير من عينيهِ . وكان تارة يسير خبباً ، وطوراً يهدأُ في الجري قليلاً وينشر اذنيه مصغياً للريح ويفتح منخريهِ ، وطوراً يجد في العدو ويحرك غرته وينشر ذنبه ويخترق الفضاء كالمجنون . وكان عَلَى الفرس فارسه ، غير انهُ كان صامتاً لا يمسك العنان ولا يستحث الفرس ورجلاه ملقيتان في الركاب وجسمه مائل يكاد يقع عَلَى رقبة الفرس والدماء تسيل منهُ متدفقة ...

الفرس اخترق اللصوص ناجياً بفارسه ، غير ان رصاصة صائبة لحقت بالفارس فاردته في ظلام الليل .

١٤

علا النواح والانين في عائلة كودال واجتمع خلق غفير في باحة المنزل . فرس من ذاك جاء عادياً بسرعة البرق ووقع عَلَى الحجارة امام الباب ؟

من ، ترى ، ذلك الفارس الساكن الصامت الملقى وقد جمدت

امارات القتال عَلَى وجههِ وتلطخت بالدماء ثيابه واعضاؤهُ ويبست يده عَلَى غرة حصانه ؟

مسكينة انتِ ايتها العروس لانك لم تنتظري الختن مدة طويلة . انهُ برَّ بوعده وجاء في الوقت المعين ليحضر وليمة العرس .... لكنهُ ، واسفاه ، لا يستطيع امتطاء فرسه فيما بعد .

١٥

حلت المصيبة كالصاعقة عَلَى ثامار فوقعت عَلَى فراشها واخذت تبكي بشهيق ونحيب . وبينما الدمعة تجري اثر الدمعة وصدرها في ارتفاع وانخفاض مع تنهداتها اذا بها وقد خيل لها انها تسمع صوتاً سحرياً من فوق يقول :

— „ لا تبك يا بنية لا تبكِ ، فدموعك لا تندّي جسم ذلك المائت ، بل تعكر ناظريك وتحرق وجنتيك النضيرتين . انه بعيد من هنا لا يعرف انك تبكين ولا يقدّر دموعك واحزانك حق قدرها . يلاطف النور السماوي عينيه الروحيتين الان وتشنف انغام السماء اسماعه باعذب الالحان . ما هي احلام هذه الحياة وانينها ، ودموع واحلام فتاة مسكينة عَلَى الارض لضيف حل في ارض الجنان ؟ صدقيني ، يا ملاكي الارضي ، ان قسمة الموت لمخلوق بشري لا تستحق دقيقة واحدة من حزنك الثمين . انظري ! في المحيط الهوائي تسبح بهدوء في الضباب زرافات من

الكواكب التائهة بلا دفة ولا شراع .

وما فوق الحقول التي لا يسعها الطرف تسير في السماء قطعان كبيرة من الغيوم دون ان تترك اثراً وراءها .

ساعة الفراق او يوم اللقاء لا تؤثر عليهم بهم ولا بهناء ، ليس لهم في المستقبل الاتي من امل ، ولا هم يحزنون لما مضى من ايام أول . فاذكريهم حين التعاسة للقدوة وتشبهي بهم فلا تشاركي الارضيين في ارضياتهم .

عندما يظلل الليل ودياتكم بجلبابه الاسود — ويصمت العالم مسحوراً بكلمة رقي" فاتنة طرحتها عليه الظلمة — وتحرك الريح الحشيش اليابس فوق الصخور فترفرف الطيور المختبئة فيه وقد فرحت بالنسمة — وتفتح الزهرة اوراقها لابتلاع ندى السماء بطمع تحت دوالي الكرمة — وينهض القمر الذهبي بكل لطف وابهة من وراء الجبال ويختلس النظر اليك — حينئذٍ ساطير اليك ، واكون ضيفك حتى الفجر ، وأنسم عَلَى اهدابك الحريرية احلاماً ذهبية . . . . »

١٦

صمتت الكلمات . . . وتلاشى الصوت في فضاء البعد فوثبت ثامار ونظرت ما حولها . . . وتراكم في صدرها الاضطراب والحزن والخوف وجاشت فيها كل عواطفها . مزقت نفسها قيودها وسرى اللهيب في

عروقها وخيل لها ان ذلك الصوت العجيب لا يزال يتكلم . ولم يطرق النوم المشتهى عينيها الا قبيل الفجر فاطبق جفنيها المتعبين . غير ان احلاماً غريبة عكرت مفكرتها : رأت روحاً غريباً صامتاً نزل من فوق وانحنى عَلَى فراشها متالقاً بجمال مدهش · ورنا اليها طرفه بمحبة فائقة ثم بحزن شديد .

لم يكن ذلك الخيال روح سماوي ارسله الله ليقدس احلامها او ملاكاً حارساً يذود عنها ويحرس فراشها الطاهر — كلا ، فلم يكن اثر لهالة القداسة السماوية حول رأسه .

ولم يكن ذلك الخيال يشبه روح جهنم الهائل المعذب منذ الازل — كلا · فانهُ كان يشبه شفق المساء الهادئ ، يشبه النهار والليل معاً — انهُ كان يجمع بين النور والظلام .

١٧

كثيراً ما كانت ثامار تجلس قرب النافذة وحيدة غارقة في لجة افكارها ، ممتلئة حزناً واضطراباً ، ترمق الفضاء البعيد بعين لا تكل وتنتظر النهار كله متنهدة . . . وكانت تسمع من حين الى اخر صوتاً يهمس في اذنها قائلاً :

— « انهُ سيأتي »

العل الاحلام لاطفتها وابتسمت لها عبثاً ؟ العل ذلك الروح الذي

ظهر لها بعينين مملوءتين حزنًا يسخر بها بكلامهِ اللطيف العجيب ؟

قد قاست عذاب الانتظار منذ ايام ، ولكنها لا تدري ماذا تنتظر . وقفت مراراً وفي عزمها الصلاة للقديسين ولكن قلبها كان يصلي له . وكانت عندما تتعب من عراكها الداخلي وينحني رأسها عَلَى مضجع الوسن قصد الراحة تشعر ان الوسادة تحرقها ، وان الهواء ثقيل يكاد يخنقها فيمتلئ قلبها هولاً وتثب من فراشها مضطربة ترتجف ، وصدرها يرتفع ويهبط ، وجسمها حار يكاد يلتهب ، لا قوى لها ان تتنفس ولا نور في عينيها ، فتمتد يداها طالبتين العناق وتذوب قبلاتها عَلَى شفتيها . . .

(القسم الثاني)

١

يا ابي ! يا ابي ! اترك الوعيد والتهديد ولا تلعن ابنتك ثامار . انا ابكي — الا ترى ذي الدموع — انها قد جرت لا لاول مرة . عبثاً يسرع الخاطبون نحوي من البلاد القاصية . قل لهم ان يطلبوا غيري في بلاد الكرج غادات كثيرات . . . قد اخذ الموت عروسي فلن اضحي عرساً بعده . منذ دفنا جثته الملطخة بالدماء في سفح الجبل اخذ الشيطان الخبيث يعذبني بافكار لا اقدر عَلَى صدها . يعذبني في جنح ليلي وميض احلام غريبة وروى جميلة ، فلا استطيع ان اصلي وتشت بي افكاري بعيداً عن الصلاة . تتمشى النار في عظامي واراني اذبل واضعف كل

يوم . يا ابي نفسي تتعذب . يا ابي تحنن عليَّ ودعني اذهب الى احد الاديرة المقدسة حيث المخلص يحميني . لم يبقَ لي فرح في الدنيا ولا امل . فدعني اذهب ، واسكب حزني امام الفادي . هنالك تسكب الاشياء المقدسة في نفسي روح السلام . دع صومعة الترهب تضمني اليها كقبر عابس يقتبلني قبل الاوان .

٢

فاخذها اهلوها الى دير منعزل وهنالك وشحوها بثياب الرهبانية فحل الشعار الصوفي الخشن محل الديباج الذي كان يلامس جسمها اللطيف ، غير انهُ مع كل ذلك بقي قلبها يختلج كالسابق لمعاودة الافكار المهيجة اياها . وكانت احياناً كثيرة تسمع وهي امام المذبح ، ما بين لمعان الشموع وارتفاع الصلوات والحان النشائد الرقيقة الكلمات التي كانت تسمعا همساً سابقاً . وكثيراً ما كانت ترى تحت اروقة الهيكل العابس خيالاً يتلاشى بلا صوت ولا اثر في دخان البخور اللطيف بعد ان يتالق بلمعان لطيف ويومئ اليها مغرياً اياها بالذهاب معهُ ، ولكن . . . الى اين . . . . ؟

٣

الى الشمال من الدير تلوح جبال نخمة غنية بالمشاهد الجميلة التي كانت تنبسط امام ساكني الدير صباحاً ومساءً فتغني القلوب بالوانها وابهتها وتضطرها الى الامعان في التامل في عظمة الخالق وتمجيده . لكن

كل جمال الطبيعة وزهوها لم يؤثر في قلب الراهبة ثامار فلم تستطع ان تنقطع عن افكارها السالفة بل كانت ترى امامها دائماً « ذاك » ، وصار يظلل حياتها طيف الهوى وامسى كل شيء في الحياة سبب عذاب لها حتى نور النهار ودجى الليل . وطالما كانت تجثو امام الايقونة ، عندما كانت نضارة الليل الناعس تعانق الارض ، وتبكي بجنون ، فيستلفت عويلها انتباه المسافر المار بقرب الدير ، فيظن ان ذاك روح الجبال المقيد في احد الكهوف يبكي ، فيحث فرسه ويجد السير هارباً من سماعه . وطالما كانت الافكار البهيجة تتدفق عليها غمرة واحدة فينهض الماضي من رقاد الظلام وينتصب امامها كشخص حي ، وتمتلئ نفسها احلاماً حية وتذكارات شتى فلا تشعر الا بافكارها وقد سيقت فجأة اليهِ : فيقف امامها ذلك الطيف العجيب بوجهه المدهش الغريب الذي نزعوا عنهُ اكاليل القداسة ، ويطلب منها خلاصه غير مجترئ ان يحب ويؤمن ، وينظر اليها نظرات خارقة حزينة ويتوسل اليها بكل خضوع — فيخيل لها انهُ في منتهى التعاسة .

٤

عندما التحفت تلال الكرج بدثار الظلام نزل الشيطان من الجو واقترب يرجو الدخول الى الدير كعادته ، ولكنهُ وقف طويلا غير متجاسر ان يخترق حرمة الدير وصمم ان يعدل عن قصده وينثني راجعاً ، لكن

هذا لم يطل سوى لحظة وعادت الى الشيطان رغبته فاخذ يطوف حول الاسوار واوراق الاشجار ترجف من خطواتهِ ، ورفع طرفهُ اخيراً فرأى نافذتها منارة كانها تنتظر زيارة احد ، وطرق سمعهُ فجأة رنين قيثارة يتبعها لحن ترنيمة تخترق هدوء الليل . وكانت تلك الترنيمة غاية في الرقة كانها صنعت في السماء لاجل الارض . من ذا يرنم ؟ اليس ذا ملاك اشتاق ان يرى روحاً كانت خليلته في السماء فاتى يزورها ليعزيها في حزنها على الارض واخذ ينشد لها لحناً يذكرها ماضيها في السماء ؟

اثرت هذه الترنيمة في قلب الشيطان وادرك منها عذاب الحب وثورانه لاول مرة . . . فاراد ان ينسحب خائفاً ولكن جناحيه لم يتحركا وحدث هنا ما يفوق العجب العجاب : هطلت من عيني الشيطان دمعة واحدة ثقيلة . . .

لا يزال الى الان قرب ذلك الدير حجر اخترقتهُ نار محرقة من جانب الى جانب — ذلك هو الحجر الذي وقعت عليهِ دمعة الروح الكئيب . .

٥

واخيراً دخل الشيطان وقد تهيأ للحب بنفس قد فتحت بابها للصلاح والخير ، وفكر في نفسهِ انهُ قد دخل في طور جديد بل في حياة جديدة كان يتوخاها ، وعرفت نفسه المتكبرة حينئذٍ هول الانتظار وخوف المجهول كانهُ عاشق في ساعة اول لقاء .

فاجتاز حيث كانت الايقونة معلقة ودخل الى صومعة الراهبة مرتبكاً ووقف بلا حراك في العتبة واحنى رأسه عَلَى صدره إذ شعر باريج الهي ووقف غير مجترئ ان يرفع طرفه وقد تعذب بحزن مجهول . .

٦

واخيراً رفع راسه فرأى ملاكاً في ثياب خفيفة بيضاء كالثلج واقفاً ووجهه تتالق — ذلك كان ملاك الراهبة الحارس وقد وقف يذود عنها مبتسماً يظللها بجناحيه . كلاهما كانا طاهرين . فنظر الشيطان اليهما واثار الشر والبغض قوة الشهوة في قلبهِ وخيمت فوق رأسه اجيال العذابات التي قاساها ودهور العداء المتأصلة وتغلبت عليه .

الشاروبيم :

— « ايها الروح المضطرب الممتلئ بالعيوب ، من دعاك الى هنا في ظلام الليل ؟ ليس لك اتباع هنا ، ولم يدخل الشر الى هنا قط بانفاسه ، فاياك ان تخطو الى مكان قدسي وهيكل محبتي هذا . »

الشيطان :

— « دعها عنك ! لا تقف ما بيننا فانها لي . اننا قد ربطنا بحظ واحد ولست لي او لها بقاضٍ . ساصطاد هنا تحت ظل الشفقة سعادة احسن ايامي . لم يبقَ محل قدسك هنا ، فاني املاك هنا ، وهنا احب . قد قدرت السماء لقاءنا فلهذا ينتصر حبي الان . . . لست انت المسوول

عنها امام الله بل انا مسؤول عنها وعن نفسي »

فنظر الملاك بعينين حزينتين الى تلك الضحية المسكينة وبسط جناحيه بتمهل واختفى في اثير الفضاء . . .

٧

اصغت ثامار الى كلام المتكبر فاعتراها روع غريب . راتهُ واقفاً امامها متألقاً بكل جماله الباهر وناظراه عكران بلمعان كانهما عاصفة قد سكنت ، فقالت :

ثامار : — « من انت ؟ ان كلامك لهائل ومهيب . من ارسلك الي السماء ام الجحيم ؟ وماذا تريد ؟ »

الشيطان : — « انت جميلة . . . »

ثامار : — « ولكن من انت اجبني ! . . . »

الشيطان : — « انا ذاك الذي كنت تسمعينهُ في انتصاف الليل الساكن . انا الذي خاطبت افكاره نفسك همساً ، وكنت ترين رسمه في احلامك . انا الذي يهلك طرفه الرجاء قبل ان تفتح زهرة الرجاء اكمامها . انا الذي لا يحبهُ احد ، ويلعنهُ كل حي . انا اله عبيدي الارضيين وليس المكان والزمان ـ الابعاد والسنون بشيء امام سلطتي . انا ملك المعرفة والحرية . انا عدو السماء . انا شر الطبيعة ، ولكن انظري : ها انا ذا اطرح نفسي عَلَى قدميك . . . ! اليك قد اقدمت بانعطاف اول صلاة محبة

طيفة ، واول عذاب ارضي ، واول دمعة صدرت مني . اواه ! اصغي اليّ ولو حنواً ! انك تستطيعين ان ترجعيني الى السماء والصلاح بكلمة واحدة ، فادخل اذ ذاك متوشحاً بحبك كحلة مقدسة وانتصب هنالك كملاك طاهر جديد . اصغي اليّ فاني اتضرع اليك ! انا عبدك . انا احبك . قد ابغضت منذ رايتك خلودي وسلطتي دفعةواحدة وحسدت بالرغم مني سعادة الارضيين الناقصة . انا اتألم لاني لا استطيع ان اعيش مثلك ويعتريني الهول اذ افكر اننا سنفترق . انت ارسلتِ اشعة جديدة حية الى قلبي التائه بلا مأوى ، وحركت الحزن الراكد في قعر جرحي القديم فتلوى كما تتلوى الحية . ما هي نفع ابديتي هذه ؟ وما هي املاكي هذه الواسعة ان لم تكوني معي ؟ ليست سوى كلمات فارغة وهيكل واسع لا اله به . »

ثامار :— « اتركني ايها الروح المخادع واصمت فاني لا اصدق عدواً . اواه يا خالقي ! ... اني لا استطيع الصلاة . ان عقلي الضعيف مغلق من كل الجهات وقد سرى فيهِ سم مكدر . اسمع يا هذا ! انك تهلكني . ان كلماتك نار وسم ... قل لي — لماذا تحبني ؟ »

الشيطان :— «لماذا ايتها الحسناء ؟ اواه لا اعلم . وجلّ ما اعلمهُ انني ممتلئ بحياة جديدة ، وقد انتزعت بانفة اكليل الشوك من على راسي المثقل بالخطايا وطرحت كل الماضي خارجاً . الجنة والجحيم في عينيك ....

احبك حباً غير ارضي — حباً لا تستطيعين ان تحبي مثله . احبك بكل نشوة الحب — بكل قوة فكرتي الازلية وامالي ...

قد كان تمثالك مطبوعاً في نفسي منذ تأسيس العالم ، وكان وجهك يتراءى لي في صحراء الابدية ، وكان اسمك يرن في اذني رنيناً لذيذاً يعكر افكاري في القدم . لم ينقصني الاك في ايام سعادتي في الفردوس . اه لو كنت تدركين ما امر ذاك العذاب — عذاب ان تبقى كل الزمان في الحياة وحيداً لا يقاسمك احد افراحك واتراحك ، وان لا تنال قصاصاً عَلَى الشر او مكافأَة عَلَى الخير ، وان تعيش لنفسك بنفسك وتضجر من نفسك ومن هذا العراك الدائم دون انتصار او صلح او هدنة ، وان تأسف دائماً ولا تستطيع اشتهاء شيء ، وان تعرف كل شيء وتشعر بكل شيء وترى كل شيء وتبغض كل شيء رغم ارادتك وتحتقر كل شيء مغتماً متكدراً ...

منذ حلت لعنة الله عليّ بردت احضان الطبيعة امامي بعدما كانت حارة مدفئة .... وازرق الفضاء امام عيني بعدما كان شفافاً وكنت ارى كثيراً من الكواكب السماوية الذين كنت اعرفهم منذ الازل فكانوا يمرون امامي في اكاليل ذهبية ولم يشأ احد منهم ان يعرفني انا الذي كنت اخاهم ورئيسهم فاخذت حينئذٍ ادعو المطرودين مثلي دعاء اليأس ، ولكن عندما لبوني لم استطع ان اذكر او اعرف تلك الاصوات

والوجوه والنظرات المسمومة بالشر.

كم مرة حلقت ما بين الغيوم بقعقعة عظيمة مصارعاً العاصفة الهائجة، متسربلاً بالضباب والبروق لكي اطفئ واعمي تذمري بين حشد العناصر الثائرة فاخلص من فكري القتالة وانسى ما لم استطع نسيانه.

ما احقر اخبار مصائب جموع العالم واجيال البشر الماضية والاتية واتعابهم واضطهاداتهم بالنسبة الى دقيقة واحدة من عذاباتي! ومن هم البشر؟ وما هي حياتهم واتعابهم؟ انهم مضوا وسيمضون. ان لهم رجاء هو الدينونة الاخيرة. هنالك ربما يبررون وربما يجازون. اما حزني فهو باقٍ لا يرحل وليس له، وليس لي آخر، ولا يُعطى له ان يستريح في قبر. انهُ تارةً يتغلغل فيَّ متملقاً منساباً كالحية، وطوراً يحترمني، وتارة يسطع كلهيب واترى يضغط علَى افكاري ويسحقها كحجر ثقيل. هو ضريح واسع لاهوائي واماني الهالكة.»

٨

تامار: — «كن من تكون يا صديق الصدفة المضيع راحته الى الابد فاني اسمعك متاثرة وآسفة لعذاباتك ... ولكن اذا كان كلامك احتيالاً واتيتني مسرًّا الخداع في خفايا نفسك .... فارحم ... ايّ مجد لك في هذا ولاية غاية تريد نفسي ....؟ العل نفسي عزيزة علَى السماء اكثر من نفوس غيري من اللواتي لم تنظرهن. كثير غيري من

الجميلات علَى الارض وقد تجد فيهن من هي اجمل مني وكلهن لم تدنس يد الريبة مضجعهن.... كلا ...... اقسم لي قسماً هائلاً لاصدقك. قل ... فانك ترى كآبتي وتعلم احلام النساء! انت تملأ القلب هولاً وروعاً ولكنك فهمت وعرفت كل شيءٍ في هذه الحياة فلا تخلو اذاً من عاطفة الشفقة. فاقسم لي ... وانكر اعمالك الشريرة وعاهدني ان لا تعود اليها. العله ليس في الارض اقسام عظيمة وعهود وثيقة تقام ولا تنقض؟»

الشيطان: — «اقسم باول يوم من الخليقة وباخر يوم من الاخرة. اقسم بعار الجريمة وانتصار الحقيقة الابدية. اقسم بعذاب السقوط وبانتصار الامال المشرقة. اقسم بهذا الملتقى بك واقسم بالفراق المهدد ايانا. اقسم بمحافل الارواح وبنصيب اخواني الخاضعين لي وبسيوف الملائكة الطاهرين اعدائي الذين لا ينامون. اقسم بالسماء، وبجهنم، وباقداس الارض، وبك. اقسم باخر لحظة منك، وباول دمعة مني. اقسم بانفاس ثغرك الطاهر، وبامواج ضفائرك الحريرية. اقسم بالسعادة والعذاب. اقسم بحبي هذا انني سانكر ثأري القديم وافكاري المتعجرفة، واني سوف لا اقلق بالتمليق والخداع عقول البشر من الان فصاعداً. اريد ان اصالح السلام. اريد ان احب. اريد ان اصلي. اريد ان اومن بالصلاح. سأمحي بدمعة الندم اثار نار السماء من علَى وجهي وليبقَ الملا في سكون

فدخل سوء الظن الى قلبه ، ولكن كل شيءُ هدأ بعد لحظة ولم يسمع بعدها سوى هزير الرياح ناقلة شكوى الاوراق وهمس النهر الكئيب فاسرع في تلاوة افشين لاحد القديسين لكي يطرد عنه الافكار الشريرة ثم رسم علامة الصليب باصابع مرتجفة عَلَى صدر قد اثارت فيه الفكر نار خامدة ومشى معجلاً الخطى ليتمم دورته المعتادة ·

١١

كحورية من عرائس الجن نائمة نوماً هنيا كانت ثامار مضجعة في نعشها ووجهها اشد بياضاً من الكفن واجفانها قد اغلقت الى الابد · كل من نظر اليها لا يشك في انها غير مائتة بل نائمة وعيناها مكتحلتان بالكرى الوقتي كانهما تنتظران قبلة او شعاع الشمس ليوقظهما · غير ان نور النهار لم يؤثر فيهما ولم توقظهما قبلات الاقارب فبقيتا مطبقتين لن تنفتح اجفانهما ولن يقدر شيءُ عَلَى رفع ختم الموت عنهما ·

لم تكن قط عَلَى ثامار ثياب اجمل واكثر زينة من ثياب الموت التي وشحوها بها · وكانت ازهار وديان وطنها الموضوعة معها في النعش حسب عادة تلك البلاد تغمرهـا وتلاطفهـا بارجها المتضوع · ووقف ملاك التلاشي طويلاً لا يجسر ان يمس تلك المسكينة ضحية الانحلال فلم يكن شي في وجهها يخبر بموتها ·

١٢

اجتمع الاهل والاصحاب والجيران للمسير في طريق بعيدة وامتطى الشيخ كودال لآخر مرة في حياته صهوة فرسه الابلق قارعاً صدره صامتاً حزيناً لا هم له سوى نتف شعره الاشيب وسار الجميع يجدون المسير ثلاثة ايام مع لياليها يقصدون الوصول الى حيث يدفنون الجثة بين بقايا اسلافها في الكنيسة العائلية ، فان احد اسلاف كودال كان بالقديم لصاً يقطع الطريق ويسطو عَلَى القرى فسلط الله عليه المرض حتى حلت عليه الندامة ووعد ان شفي ببناء كنيسة كفارة عن ذنوبه عَلَى الصخور حيث لا يسمع سوى جلبـة العواصف ولا يصل احد سوى النسور ، فشفـاه الله واتم اللص وعده فشيد ما بين ثلوج قمم كازبك كنيسة منفردة دفنوه بها بعد موته وتحولت تلك القمة الى مقبرة عائلية ، وكأني بهم ظنوا ان القبور ترحم وتسقى اكثر إن قربت من السماء أو أن سكينتها لا تعكر إن بعدت عن الارض ، ولكن ذلك كله باطل ، فالموتى لا يحلمون ولا يشعرون ولا تهمهم الافراح والاحزان او السكينة والضوضاء

١٣

قرأوا آخر صلاة عَلَى جثة ابنة كودال ورشوا آخر حفنة من التراب عَلَى نعشها علامة الوداع لها من الارض ثم علت سحائب دخان البخور الى السماء ، واخذت تضعف تدريجاً اصوات العويل والبكاء وتختفي ما وراء

الصخرة المجاورة ، وبدأت ان تخف اصوات وقع الخطى وحوافر الخيل وجلبة القوم في الاسفل حيث ساروا بعد ان اودعوا جثة فقيدتهم المحبوبة الثرى ·

ثم بدأت الغيوم تحيط بفراش ثامار البارد عابسة واحتدمت العاصفة فجأة فدوى هزيمها في السماء بصوت هائل وغطت قبر ثامار بكفن ابيض من الثلوج

١٤

طار في فضاء الاثير الازرق ملاك ذو جنحين ذهبيين حاملاً في يديه نفساً خاطئة من العالم الدنيوي وكان يطرد عنها الشك بكلمات الرجاء والتوكل المؤنسة ويمحي اثار الخطيئة والعذاب عنها بالدموع · واخذا يقتربان من الفردوس وسمعا الاصوات الشائقة منهُ واذا بالروح الجهنمي الخارج من الهوة قد انتصب امامهما قاطعاً الطريق ، وكان قديراً قوياً كالعاصفة الهائجة ، متألقاً كالبرق المندفق. وقال بعجرفة ووقاحة :

— انها لي ·

فانضمت روح ثامار بخوف الى صدر الملاك واخذت في تلاوة صلاة حارة لتطرد الخوف عنها ، فانها علمت ان مستقبلها يتوقف على هذه الدقيقة ، ولكن من ترى يكون الغالب في هذه المعركة . راتهُ منتصباً امامها مرة اخرى ، ولكن يا لله من يستطيع ان يعرف وجهه ؟ وكيف

طرأ عليهِ هذا التغيير ؟ انهُ ينظر بطرف شرير نظرات مهلكة مملوءَة بسم العداوة الزعاف ، وتهب ريح القبور الباردة من وجهه الجامد . فقال له رسول السماء :

— « انمحق يا روح الشك والظلام ! لقد انتهى وقت انتصارك وحانت الان ساعة الدينونة وحكم الله الصالح . قد مضت ازمنة التجربة وخلعت هذه النفس عنها ثياب الارض الزائلة فسقطت عنها قيود الشر · اعلم اننا كنا ننتظرها من زمن بعيد ، لان نفسها هي من تلك النفوس التي حياتها كلها لحظة واحدة من العذاب الذي لا يطاق مقرونة بانتظار السرور الذي لم تذقهُ · تلك حاك الخالق اوتارها الحية من احسن ذرات الاثير ولم تكن قط مخلوقة لاجل هذا العالم ولم يُخلق هذا العالم لاجلها · انها قد كفرت عن شكوكها بثمن باهظ ··· انها تعذبت واحبت ، فانفتح الفردوس امام الحب · »

ورمق الملاك المجرّب بنظرات قاسية وبسط جناحيه ورفرف بهما فرحاً وانغمس في نور السماء ·

فلعن الشيطان المغلوب اماله الخائبة الجنونية · وبقي ذلك المتعجرف وحيداً كالسابق يخبط في فضاء المسكونة دون رجاء او حب ···

زنبقة الغور

لامين الريحاني

١

« من غور الحياة ارفع اللهم صوتي · من وادي الاردن احمل اليك يارب وزري · من اعماق الارض انظر ضارعاً الى جبال قدسك والى شمس رحمتك والى سماء حبك »

في ربيع السنة الاولى من هذا القرن توفيت في الناصرة امرأة اسمها ساره ولم يكن عند فراشها ساعة النزاع غير راهب من رهبان الدير الذي كانت ترعى مواشيه وفتاة لا تتجاوز الخامسة عشر من سنها · ولقد كان البؤس رعيَ ساره والشقاء موردها في كل بلد ساقها اليهِ القدر وفي كل بيت خدمت فيه · علَى انها لم تكن ممن يأكلون خبز المذلة ويغضون علَى الحيف والأذى · ولم تدخل الدير طفلاً فتخدم فيهِ فتاة لتتعود الرضوخ والاستسلام فتسوم نفسها طاعة الصغار وتحمل دفعاً للجوع تفوّق الاسياد والروَساء · وليس اشد من بلية البائس غير بلية البائس العزيز النفس·

جاءت ساره الناصرة من السامرية في الثالثة والعشرين من سنها

ووقفت مكرهة في الابواب تقدم خدمة وتطلب عملاً · وكانت قبل ذلك تقيم ووالدها الارمل في قرية قرب جنين وتساعده في اشغاله وفي سهراتهِ · فتقضي حاجات البيت كلها باتقان وعناية لا مزيد عليها فتطبخ وتغسل وتستقبل الضيوف — وترعى في بعض الاحايين الجمال جمال ابيها· وقد يستغرب القارئ ذكرنا الضيوف في بيت الجمال . وقد يستغرب اشياء اخرى في هذه القصة . ولكن الحقيقة في غور الحياة وقد ابعدتنا عنها زخارف التمدن امست غريبة بيننا . الفقر والبؤس والعار والشقاء تحجب عن الناس اليوم في معاهد الاحسان المتعددة التي شُيدت لتربية الجهل واستخدامه لا لمناهضته واستئصاله . والمستقبح في هذه القصة هو ادنى الى الواقع من المستملح فيها — لا غبار من الخيال عليهِ ولا يد للتصور فيهِ·

قلنا ان ساره كانت تساعد ابيها حتى في سهراتهِ · واليك البيان · فقد كان الجمال قصّاصاً ايضاً يقص في الخانات وفي بيتهِ قصص الاقدمين في حلقة عامرة من المكارين والمسافرين والفلاحين · بل كان بيته شبه « تياترٍ » رسم الدخول اليهِ شيءٌ من التبغ او السكر او البن وما اجملها حلقة في ليالي الشتاء في الليلة القراء وقد أُضرمت النار في الموقد واشعل كل من الحضور « السبيل » ودارت ساره عليهم بالقهوة وبدأ والدها يتلو مقدمته الطويلة الشهيرة اي « كان ما كان الخ » فيهتز من ضحك القوم عمود البيت وتبتسم لنكاتهم نار الموقد من خلال الدخان

— برغوث عَلَى صدرك ياساره

— اجلسي قربي الله يحرسك لوالدك .

— كردم ابو آدم حفر البحر ومن يحفر قبري الليله ؟ تسلم هذه العيون !

— ما اطيب قهوتك ياساره

— يا بنت امير العرب هاتي بصه .

— الليلة من ليالي العجوز اسمعوا الهواء يزمر

— والموقد يرد عليه .

— اسمع ياشيخ بدأَت القصة

— نشكر الله عَلَى سلامة البرغوث

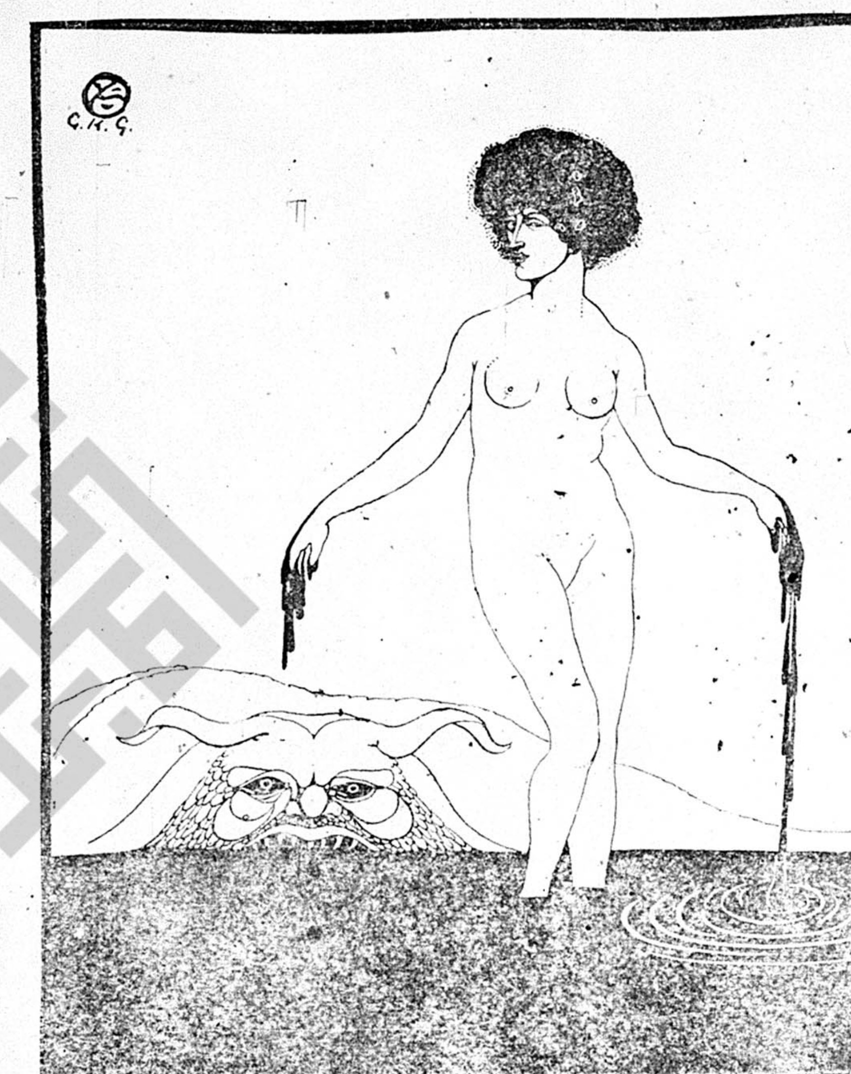
وما هذه الا شرارة من الموقد الذي كانت تضطرم ناره في ذاك البيت في وسط حلقة لسانها الجمال القصّاص وروحها ابنته ساقية القهوة . وكانت ساره ذكية الفؤاد فصيحة اللسان عظيمة الحافظة اخذت عن ابيها وفاقته في صناعتهِ فاذا كان في سفر ليلة ما تقوم مقامه فتضحك الحضور وتبكيهم وتهيجهم وترعبهم بما تقص عليهم من الخرافات ومن حكايات الجان والعفاريت . وكان ابوها يعزها ويعجب بها كثيراً ويستصحبها في اكثر سفراته فتسير في القافلة الى القدس والكرك والشام وتفتن حيث تقطن وتضرب عند اللزوم ضربة يعجز دونها الرجال . فتاة ترمي بعينيها وترمي

بساعدها . شديدة البأس ثابتة الجنان لا يتجهمها الليل ولا تستوقفها القفار ولقد طالما اجتازت وادي اليرموك وحدها توصل السير بالسرى وتردد ادوار « العتابا والميجانا » بصوت جهوري رنان . تردد الاودية صداه وتصغي اليهِ وحوش الفلاة . وما اشبهها بالشهيرات من نساء العرب اللواتي فقن الرجال فصاحة في المجالس وبأساً في ساحات الوغى .

ولكن يومها الاسود — ولكل ابن انثى يومه — لم يمهلها . جاءها وهي صبية يسوق اليها من مثله الايام والسنين . جاءها يوم تزوج ابوها فكانت خالتها بليتها الكبرى . ولم تكن ساره لتطيق التحكم والتأمر . فوطنت النفس ان تهجر البيت وكان قد حدث لها حادث منذ اشهر يكثر مثله بين ابكار تلك القفار فعجل عليها بالفرار . فخرجت من بيت ابيها وهي حامل في شهرها الخامس لا تعرف ملجأً تلجأ اليهِ . فاقامت بضعة اسابيع في بعض القرى حول المرج ثم عولت ان تمشي الى حيفا لتخفي هناك عارها . ولكنها ضلت الطريق فمشت شمالاً حتى وصلت الى شفا عمرو وهناك بين تلك النواويس خارج البلد جلست تستريح وكانت قد بدأَت تشعر بانحلال في جسمها وتقطع في اوصالها . فآوت مساء ذاك اليوم الى كهف من تلك الكهوف التي كانت قبوراً في قديم الزمان وعرفت لاول مرة في حياتها ما هو العذاب وما هو الخوف وما هو القنوط . وكانت هذه اول التجارب عندها . حاولت ان تنام فخال

دون ذلك ما اصابها من الآلام التي اخذت تزداد حتى احست ساره انها دفنت حية في ذاك القبر — حية في قبرها تئن من الاوجاع . وصاحت نصف الليل صيحات لم يسمعها غير الله وولدت كما تلد البدويات وهن في الطريق والحلات . ولكنها ولدت طفلاً ميتاً . فكان غمها اشد من اوجاعها . وعند بزوغ الفجر لفت طفلها بالمنديل الذي كانت تحمل فيه زادها ودفنته في الناووس الذي ولد فيه وغطته باغصان من شجر الزيتون . واقامت واياه هنالك بضعة ايام تندبه وتندب حظها . وبعد ان نقهت قليلاً واحست من نفسها بشيء من القوة خرجت من ذاك اللحد والمهد لا تدري ما تصنع ولا ترى امامها طريقاً تنشط خطواتها . اترجع الى قريتها وقد كرهت الاقامة فيها ؟ اتدخل شفاعمرو وهي لا تعرف احداً هناك ؟ اطرقت مفكرة حائرة يائسة فتذكرت ان احد ابناء بلدها الياس البلان يعلّم في مدرسة ابتدائية في صفوريه . فصعدت في الجبل تقصد تلك البلد علها تحظى بلقائه فيفتح لها باباً للارتزاق . ولكنها لم تجده في صفوريه . وقيل لها انه نقل منذ سنتين الى الناصرة ودخل الدير . . . .

هناك . الدير ! وقعت هذه الكلمة في قلب ساره كما يقع الندى في نخاريب الصخور فينيرها . فتحت لها باباً ظنته باب الخلاص فكان شركاً من اشراك القدر جديداً . ولعل القدر في بعض اطواره مثل البشر اذا وقعت الطريدة بين يديه لا يفلتها او يذبحها .



بركة الدم — جبران خليل جبران

جاءت ساره الناصرة وقد كدها الجوع والتعب فسارت تواً الى الدير ألذي هديت اليهِ فلقيت هناك ابن بلدها الاخ ايلياس البلان فتنفست الصعداء وشكرت ربها. واول ما فاهت بهِ هاته الكلمات: دخيلك مت من الجوع والتعب. فتأهل الاخ ايلياس بها وطيب نفسها وادخلها غرفة قرب المطبخ وجاءها بخوانٍ عليهِ بضع ارغفة من الخبز وقالب من الجبن وشيء من الزيتون وجفنة من الطعام. وبعد ان اكلت واستراحت سألها حاجتها. فقالت انها تريد ان تدخل الدير. فابتسم ابتسامة ثبطت من عزمها واخبرها ان رغبتها لا تتحقق الا بشروط قد يصعب عليها اتمامها. ثم قال: اديرة الراهبات هنا كالشركات العقارية ـ هل عندك شيء من العقار توقفينه للدير ـ هل عندك مال تدفعينه رسم دخولك. هذه اهم من النذور الثلاثة. اتخدمين؟ حسن. ولكن الواقفات في ابواب الاديرة يطلبن الخدمة فيها كثيرات مثلك»

على انهُ وعدها خيراً وبعد ايام عادت اليهِ فانزلها في بيت عمال الدير تساعد الفلاحين وتغسل ثياب الرهابين. ثم نقلت الى المطبخ لاحسانها الخدمة فاحبها رفاقها من الخدم وأُعجبوا بحسنها وخفة روحها وزلاقة لسانها. وكانوا يجتمعون في المساء عندها في المطبخ وبينهم بعض الرهبان فتقص عليهم المضحك المبكي مَن قصصها العجيبة ونوادرها الغريبة. واول من أُعجب بها واحبها الاخ ايلياس الذي دخل ذاك الدير ليتم فيهِ

علومه . وكان لم يزل في ريعان الشباب يملكه من النساء حسن الوجوه وسحر العيون . وما لبث ان فُتن بساره . استهوتهُ الفتاة فخدعها . اختلى بها سراً مراراً وعللها بالوعود . وكانت ساره حادة المزاج سريعة التأثير . في قلبها شعلة من الحب لا تطفئها تجارب الحياة المحزنة . فاستسلمت الى الراهب الذي وعدها ان يخلع الثوب الاسود ويتزوج بها . ولقد ابرّ الاخ ايلياس بقسم من وعده اذ خرج من الدير في فرصة الصيف مدعياً انهُ ذاهب الى بيتهِ ليتفقد اهله . وكان قد اوعز الى ساره ان ترحل الى قرية ... قرب كفركنا وتنتظره في الخان هناك . وفي تلك القرية اقام واياها بضعة اشهر متنكراً . ثم تركها وهي في شهرها التاسع عائداً الى الدير في الناصرة لعلمه ان في نية الرئيس ان يبعثه الى سوريا ليدرس الافرنسية في احدى مدارس الرهبنة هناك . فهرب من مسئولية فعلته ولم يهرب حينئذٍ من الدير .

ولما ولدت ساره اقسمت يميناً انها لا ترضع ابنتها قبل ان تنتقم من والدها اللئيم الخدّاع . لذلك جاءت الناصرة ليلاً تحمل لفافة القت بها عند باب دير الايتام وهي تقول: سارجع يا بنتي سارجع اليك وقد انتقمت من والدك .

وراحت تسأل في الدير عنهُ فقيل لها انهُ سافر الى سوريا . شكتهُ الى الرئيس فضحك منها وشتمها وطردها خارجاً . فقالت له والغيظ يحتدم

في عينيها : عرفت طريقتكم : استرني استرك . الله لا يستر عيوبكم . وخرجت من الدير تلعنهُ وتلعن ساكنيه وسافرت الى بيروت لتبحث عن الجاني عليها . ولكن الاخ ايلياس البلان وقد قدّر ما قد يكون من عواقب اثمه غير اسمهُ وخلع ثوبه ولجأ الى احدى قرى لبنان يعلم فيها الصبيان . وبعد سنتين عاد يلبي دعوة الرهبنة السماوية فلبس الثوب الاسود ثانية ودخل في سلك رهبنة اخرى وتدرج الى رتبة الكهنوت فيها فسيم قسيساً واصبح من المحترمين في الارض .

وليس كالدير مأوى لامثال الاخ ايلياس . ثوب اسود . واسم جديد . ودير قصي . وبال بعد ذلك مطمئن . فياله من اثمٍ لايقتفي اثره اشد اصحاب القيافة حذقاً . ياله من ستر لا يكشفه اكبر رجال الشحنة عقلاً واعظمهم دهاءً . ولكن الله لا يستر العيوب الى الابد والتقادير لا تخدم الاثيم حياته .

وبعد طويل البحث والتفتيش فوضت ساره امرها الى الله واقامت في بيروت تخدم في احد البيوت . ثم نقلت الى الشام . ثم الى بلد في لبنان ولم تثبت طويلاً في مكان . ظلت عشر سنوات في سوريا والشقاء ملازمها والبؤس حليفها . وقد جفت من تصاريف الدهر طباعها وخمدت نفسها وخشنت اخلاقها . فكانت تدخل البيت ضارعة وتخرج منهُ ناقمة . ولم تثبت الا في بيت لبناني سنتين متواليتين لان الامرأة

اللبنانية تتحمل من الخدم اكثر من سواها .

ومن المؤكد ان قد كان في نفس ساره شيء من طباع عرب الجاهلية الذين يكمنون العداء طويلاً ولا ينفكون ان يطالبوا بالثأر . فلما سمعت مرة وهي في لبنان ان الراهب الذي تبحث عنهُ هو في الناصرة حملت رزمة ثيابها وسارعت الى تلك المدينة . وكانت تعلل النفس ايضاً بلقاء ابنتها واسترجاعها من الدير . ولكنها لم تفز بواحدة من رغبتيها . ابنتها التي جاءت بها وهي طفل رضيع الى الدير ضاعت بين المئات من مثلها في معاهد الايتام المتعددة بالناصرة . وتوارى الاخ ايلياس البلان في سرادب الرهبان .

وبين هي واقفة ذات يوم في باب الدير الذي كانت تخدم فيهِ منذ عشر سنوات رآها القس جبرائيل مبارك فاعترتهُ رعشة أسقطت الدم من عروق وجهه فصار كالشمع لوناً . عرفها ولم تعرفهُ . وما لبث ان تمالك نفسه فسألها متلطفاً حاجتها . فحاولت ان تكشف له سرها فاضطرب عليها . فقالت : اريد ان اخدم في الدير . فاحسن القس جبرائيل اليها وجعلها من عمال الدير ترعى المواشي .

العشر سنوات التي ولّت والثوب الاسود واللحية غيرت من ظاهر الراهب فلم تعرفهُ ساره . ولا ادركت اضطرابه عندما شاهدها ولا السبب في جميل احسانه اليها . فالقس جبرائيل مبارك من اسرة كريمة في جنين

امرها في الناس مطاع وكلمتها في الحكومة نافذة . عَلَى ان لم ينبغ فيها الا من تولى الوظائف فكان ظالماً . او تولى امر ارزاقهم الواسعة الارجاء فكان مستأثراً اثيماً يعامل الفلاحين كما تشاء اطماعه ويتصرف بنسائهم وبناتهم كما تشاء شهواته . وكان والد ساره الجمّال من عمال بيت مبارك يجيئهم باحمال القمح والحبوب والحطب وغيرها من حاجات العيش . وكانت ساره كما ذُكر ترافق ابيها في سفراتهِ وتساعده في اشغاله . فتقيم وابيها اياماً في بيت اسيادهم في جنين .

وفي تلك الايام كان جرجي مبارك (القس جبرائيل الان) في العشرين من عمره . شاباً غريباً في بيتهِ لا يشابه اهله بشيء في اخلاقهِ وطباعه . عصبي المزاج . شديد النزعة الى الوحدة . غريب الاطوار . كثير الهواجس . سريع الغضب سريع الرضى . في نفسهِ شعلة دخانها اكثر من لهيبها تزيد بكآبته واضطرابه . يظهر له الحق في كل الاشياء في شكل مشوش فلا يصبر عليهِ الى ان ينجلي . يضرب الخادم مثلاً لاهمال بدى منهُ ويدخل غرفته فيونب نفسه عَلَى ما فعل . وقد رأتهُ مرة امه في ساعة ملكته نوبة عصبية شديدة يدق برأسه عَلَى الحائط كالمجنون . فراعها ذلك واخذت تناعمه وتسكن من روعه . فسألها قائلاً : متى يرجع ابو ساره من المرج . فقالت الام : غداً . فسكنت اذ ذاك جوارحه وهدأ اضطرابه . ولما جاء الجمّال تصحبهُ ابنته وهمّ عند المساء

بالرجوع سأله جرجي ان يظل عندهم الى الغد فامتثل الجمال امره فبعثهُ في اليوم الثاني بكتاب الى احد عمالهم في حيفا وتخلفت ساره في بيت سيدها الشاب · وكانت قد شعرت بشيءٍ وحشيٍ في حركاتهِ ونظراتهِ وادركت اضطرابه حين شاهدها مع والدها · ولكنها لم تخشه ولم تنفر منهُ · بل استسلمت اليهِ راغبة تلك الليلة ليلة كان والدها في حيفا واحبتهُ حباً شديداً · ولكن جرجي نفر مما اقترف مسترسلاً الى هواجسهِ · ولم يكلم الفتاة في اليوم الثاني وما نظر قط اليها · فشق ذلك عَلَى ساره وراحت تكظم غمها وتستر بليتها · ولما عاد ابوها من حيفا قال له جرجي : لتبق ابنتك في البيت ذلك خير لك ولها · فقبل الجمال نصيحة سيده دون ان يدرك السر فيها · وامتثلت الفتاة امر ابيها الى حين · ثم هجرت البيت تهرب من ظل خالتها الى ظلٍ اشد منهُ ظلمة وبلاء ·

وبعد سنتين هجر جرجي مبارك بيته وآله ايضاً · فبينا كان سائراً الى الناصره ليزور اخاه الاكبر يوسف افندي مبارك هناك خطر له في الطريق ان يدخل الدير · وكذلك كان · دخل الدير في السنة التي سافرت ساره الى سوريا لتبحث عن ايلياس البلان · وفطم جوارحه عن الشهوات . وتاب توبة دينية حقيقية ·

ولم يمضِ عليه سنتان في ذلك الدير حتى اصبح من اسياده المقدمين يهابه اخوانه الرهبان ويكرهونه · كيف لا وهو لا يبالي عند الحقيقة

بشعورهم ولا يراعي خواطرهم بشيء · نفر مما كان يشاهده في بيته فنفض عنه غباره ودخل الدير · دخل الدير فكشفت له امور ثارت عليها نفسه وهاجت لها ضغائنه · والقس جبرائيل ممن يألهون ما يحبون ويقتلون اذا استطاعوا ما يكرهون · عَلَى انه كان يبذل الجهد ليكون سيد نفسه قبل ان يصير سيد الناس · ولقد طالما عذبه هذا النزاع بين الشعائر المتناقضة فيه بل بين معقوله وهواجسه · فلقد كان يحب ساره مثلاً ويكرهها . نساها بعد ان جنى عليها ولكن اثر الجناية ظل حياً يضرم فيه احياناً تلك الشعلة الحمراء القديمة · وساعة شاهد الفتاة التي جنى عليها منذ عشر سنوات هم لاول وهلة ان يطردها ثم حن اليها فؤاده وادخلها بين عمال الدير . وكان يناصرها ويدافع عنها في كل امر يحدث بينها وبين العمال · وكثيراً ما كانوا ينمون عليها ويغتابونها لاخلاق فيها عالية سودتها عليهم · فنقم الرهبان عَلَى ساره وكان القس جبرائيل نصيرها الوحيد بينهم . ولقد حير امرها كل من عرفها سواه . فمن كان يراها في الفلاة ترعى المواشي كان يشاهد في وجهها كآبة لا تظهر لمن عرفها في الدير وفي المدينة · امرأة منوعة صبورة قنوعة تهضم بؤسها وتكظم اشجانها وتكلف نفسها البشاشة فتقص عَلَى عادتها القصص العجيبة عَلَى رفاقها الفلاحين — هذه ساره بنت الدير · اخت الرهبان . امرأة كئيبة حزينة في صدرها سر كاد يخنقها وحسرة كادت تودي بها ، تجلس عَلَى صخرة في الفلاة او في ظل صفصافة في المرج فتلقى خدها عَلَى

يمناها وتتغنى باهازيج البدو المحزنة — هذه ساره الراعية بنت المروج والجبال.

شكت امرها الى الناس فوقعت شكواها عَلَى اذان صماء وصادفت قلوباً مستحجرة فلبست لبوءسها درعاً من الصبر برّاقة وضحكت مع الضاحكين لكي لا يشمتوا بها.

وظلت عَلى هذه الحال سنين لا يسمع غير الله شكوى قلبها ساعة تختلي بنفسها في الفلاة. قريبة من الدير الذي دفنت فيهِ سرها الحي. بل من البحر الهادئ — بحر الشفقة والاحسان — الذي غرقت فيهِ ابنتها. ولطالما وقفت عند شاطئ هذا البحر تسائل الامواج عن لؤلؤة قلبها فتضحك الامواج لسؤالها.

عَلى انها تعرفت يوماً بفتاة تخدم في احد اديرة الايتام اسمها مريم فحن اليها فؤادها واخذت تتردد الى ذاك الدير فتجتمع بها وتحدثها وتمازحها وتقص عليها بعض القصص المضحكة وفيها شيء من سيرة حياتها. ومرة سألتها اسم ابيها فهزت مريم كتفها وقالت باسمة: تقول الرئيسة ان القديس يوسف ابي. ولي في الدير اخوات كثيرات. وكانت مريم تستأنس بساره وتحن اليها وتود لو كانت مقيمة معها. وقد قالت لها مرة: «هنيئاً لك تروحين وتجيئين حرة كما تريدين وانا محبوسة في هذا الدير» وسألتها باكية ان تسعى لتخليصها منه فاغرورقت عين ساره

وراحت تفكر في رفع شكوى مريم الى القس جبرائيل علّه يستطيع ان ينقلها الى ديره.

وبين كانت مرة ترعى المواشي رآها القسيس جالسة عَلَى عادتها في ظل شجرة تردد الادوار المحزنة وتنتحب. فاقترب منها عَلَى حين غفلة وخاطبها قائلاً: لماذا تبكين؟ فذعرت ساره وسارعت تمسح دمعها فاعاد سؤاله: ما بالك يا ساره تبكين؟ فاطلعتهُ عَلَى بعض سرها. اخبرتهُ انها في ليلة عيد الصليب منذ اربعة عشر سنة القت عند باب دير من اديرة الايتام ابنتها وكانت طفلاً رضيعاً. وانها لم تزل تذكر ان الدير الذي جاءت اليهِ هو في آخر البلد في وسط الجبل وانها تعرفت هناك بفتاة اسمها مريم وحنت اليها حنو الام الى ابنتها. وسألتهُ ان يساعدها في البحث عن اصل تلك الفتاة وقصتها وان يسعى في نقلها الى ديره. فامتقع وجه القسيس لهذا الخبر لظنه ان الفتاة ثمرة فعلته تلك الليلة وطيب نفس ساره ووعدها خيراً.

وبين كانت الراعية ترعى مواشيها في مكان قصي من البلد بعد هذه المقابلة ببضعة ايام نامت في اصيل النهار برهة فلذعتها في رجلها حية سامة ولم يكن احد هنالك تستغيث بهِ. ومع انها حاولت ان تعالج نفسها بيدها — ربطت رجلها فوق الجرح بخيط من الشعر — وعادت الى الدير ولكنها لم تصل اليهِ الا بعد ان سرى السم في جسمها فبعثت تدعو القس

جبرائيل اليها فلبّى مسرعاً ثم استدعى لها طبيب الدير فابطأ في مجيئهِ · ولما وصل وجد ان السم سبق الدواء وان لا مرد للقضاء · ولما احست ساره بدنو اجلها اخذت يد القسيس وقبلتها واستحلفتهُ بالمسيح وبالعذراء ان يقضي حاجتها ويعرّفها ويتم وصيتها ·

— « ارجوك ان تبعث الى الدير ... تستدعي مريم · احب ان اراها قبل ان اموت · وهي اذا عرفت بحالتي تحضر حالاً »

فبعث الراهب رسولاً الى الدير يستدعي الفتاة · وبدأ يعرّف ساره · اخبرتهُ اثناء الاعتراف قصتها كلها · فاغرورقت عيناه واضطرب فواده · وبعد ان جعلها في حل من ذنوبها ركع عند فراشها نخاطبها قائلاً : وانا اعترف قدامك يا ساره وقدام الله واستغفرك قبل موتك · انا جرجي — جرجي مبارك — دخلت الدير بعد ان جنيت عليكِ · اصفحي عني إغفري لي » واخذ يدها يقبلها فاحست بدموع تتساقط عليها واجابتهُ وهي شاخصة بعينيها: «ما حقدت عليك مرة ولا شكوتك مرة الى الله · فلا تنسَ وصيتي استحلفك بالمسيح ولا تبح لمريم بالسر · واذا التقيت بابن البلان قل له انني سامحت وصفحت . دخيلك انت ابن بلدي انت ابي — انت سيدي — انت اخي — فكن لمريم اباً واخاً ايضاً وخذ هذه الذخيرة اعطها اياها لتحفظها ذكراً مني · فصعد القسيس الزفرات ثم صلى عند رأسها وقال وهو يسالها ان تردد كلماته — قولي معي يا بنتي :

« من غور الحياة ارفع اللهم صوتي · من وادي الاردن احمل اليك يارب وزري · من اعماق الارض انظر ضارعاً الى جبال قدسك والى شمس رحمتك والى سماء حبك »

وفي تلك الاونة دخلت مريم البيت فمدت ساره يدهـا وجذبت الفتاة اليها فقبلتها ثم قبلتها وضمتها الى صدرها كانها تريد ان تطلعها عَلَى ما في قلبها · كانها تريد ان تسمعها همس الاسرار في نفس الموت · فشهقت شهقتها الاخيرة وشخصت بعينيها ووقعت في انفاسها الخمدة الابدية ·

فردد القسيس : « من اعماق الارض يارب انظر ضارعاً الى شمس رحمتك والى سماء حبك» وجثت مريم عند جثة سارة تبكيها بكاءً شديداً والقس جبرائيل وقد احس من نفسهِ وهناً يتامل الفتاة مضطرباً حائراً ·

« ستأتي البقية »



المجد المصلوب

لو خطر للناس ان يناقشوا آلهتهم الحساب عَلَى النعم التي نالوها منهم، والضحايا التي قدموها لهم مقابل تلك النعم لبان افلاس الالهة من زمان .

ولو قامت الارض « تصفي دفاترهـا » مع السماء لضاقت جهنم بالكثيرين من الذين نحسبهم ابراراً وقديسين .

ولو وضع الله قطرات الدم التي سالت من جنب ابنه الوحيد تجاه الابحر الدموية التي هدرتها ولا تزال تهدرها هذه الارض الشقية من صدور الوف الالوف من وحيديها واعزائها ثمناً لتلك القطرات لوجد انهُ قد استوفى عوض كل قطرة بحراً .

ذاك حساب طويل تدفنهُ الالهة بين طيات الزمان الذي ندعوه ماضياً لكن الابالسة تحفظ بعضهُ بين سطور مأساة عظيمة ندعوها التاريخ وهذه « نفدة » من ذاك الحساب :

***

ذابت قبلة الشمس الوداعية عَلَى نوافذ مكتبة الاسكندرية العظيمة واختلست امواج المتوسط رسم تلك القبلة فغمرتها بين احضانها وراحت تتهادى بها لتودعها بين اهداب النور واجفان الظلام .

هنالك قصر بجانب المكتبة اطلت من بعض شرفاته فتاة تجسمت

في وجهها نضارة الشباب ، وفي عينيها حكمة الشيوخ . تنظر في الفضاء كانها ترى فوق امواج اليم اشباحاً خرجت من اللجة لتكشف لها ما انطوى هناك من الاسرار . ها هي تسبح مع تجعدات الماء نحو الشاطىء ، ها قد اقتربت من اليابسة، جيوش تقودها جيوش ، لطمة فطفوة واضمحلت الاشباح كقبلات عاشق في الحلم .

ما اجمل ذاك الوجه وقد زاده جمال الغروب سحراً ، وتلك العينين العسليتين وقد حدقتا بالافق كانهما تحاولان ان تخترقا ستار ما كان وما سيكون ، وذاك الشعر الذهبي وقد تسدل عَلَى كتفيها ، وتلك القامة وقد توشحت بحلة كالثلج ، وذاك الخصر وقد طوقتهُ منطقة مذهبة الاطراف !

ظلت الفتاة غائصة في احلامها الى ان طرق اذنيها وقع اقدام فالتفتت واذا بالستار ارتفع وبان من ورائه شيخ يجلله الشيب وترافقه القوة ، يرسل من تحت حاجبيهِ نظرات خارقة تلطف حدتها محبة عميقة لا تسكن الا في اعماق قلوب الشيوخ . فهشت للقائه وقد تحولت كلها الى ابتسامة لطيفة ، نقية ، طاهرة . فقبلها الشيخ في رأسها ثم قال :

« هل فكرتِ يا ابنتي ملياً في موضوع حديثنا صباحاً ؟ »

فاجابته بصوت رقيق يطرق الاذان كانغام ملائكة في الحلم :

« نعم ، ابتي . وانا مستعدة ان اعمل بمشيئتك »

تمددت خطوط الايام عَلَى وجه الشيخ واتسعت الى ان تحولت الى

ابتسامة طويلة عميقة فيها كبرياء ورضى ومحبة . ثم تحركت شفتاه فقال: « نعماً الجواب يا غيباتيا . اذن سالقي قسماً كبيراً من الحمل الذي كانت تنوء تحته شيخوختي عَلَى قواك النضرة ، فيرتشف تلاميذي عسل الحكمة من شفتي اعزّ درة في مدرستي . »

هنا ثيونوس ، الرياضيّ الشهير الذي طير صيت المدرسة الافلاطونية في الاسكندرية الى جميع اقطار العالم ، اجلس ابنته بجانبه عَلَى مقعد من الحرير الناعم وصرفا برهة طويلة هكذا يتحدثان عن عمل الغد ويرسمان خرائط المستقبل لان غيباتيا عزمت ان تلبي طلب والدها فترقى في الغد درجات منبر التدريس في المدرسة الافلاطونية العظيمة حيث تقابل لاول مرة وجهاً لوجه زهرة شبيبة الاسكندرية الكبيرة .

الدهر بخيل علينا بالنوابغ ، وغيباتيا كانت من تلك العطايا التي لا تجود بها الايام عن طيبة خاطر . واذا كان التاريخ قدحفظ لنا اسماء بعض النابغات بين النساء فلا شك ان غيباتيا في مقدمة تلك الفئة المحبوبة من السماء .

في ذاك الزمان ، زمان الفلسفة والفحص والاستقصاء وتطاحن المبادىء والافكار ، لم يكن في الاسكندرية او غيرها من العالم المعروف من كان قادراً ان يزيد او يحذف برهاناً واحداً من براهينها الرياضية والفلسفية والفلكية اذ كانت قد ارتوت من ينابيع « الفلسفة الآلهية »

حتى كان يظهر لمعلميها ان فلسفة افلاطون قد تجسدت فيها . ولم يكن ثمة من عار بان يعرضوا عليها منبراً في المدرسة الكبيرة حيث عمونيوس وهيروكلس كانا يخلبان الالباب وحيث كان الطلاب يتقاطرون من بلاد اليونان وقلب المملكة الرومانية ذاتها .

نعم .. حققت غيباتيا آمال والدها واساتذتها لان التاريخ يخبرنا ان « صيتها طبق البرين حتى كاد يجذب الفلاسفة لسماعها من كل قطر ومصر »

مع ذلك فنقاوتها وطهارتها ومقامها لم تدنس بشتم او لوم في اسواق الاسكندرية وحماماتها ..

لكن السماء اكثر الاحيان تندم عَلَى عطاياها للارض

حدث ان رجلاً اسمه كيرللوس — وهو رجل عاتٍ ، متعصب ، مدّعٍ ، متفلسف — كان متربعاً في كرسي البطريركية الاسكندرية في ذاك الوقت وحوله قطعان من الرهبان والكهنة الذين يغذون بجهلهم نار بغضه لكل مبدإٍ شريف ومذهب علمي وفكر جديد .

ولما كان صيت غيباتيا ينتشر كالنور في الفضاء واسمها يدور عَلَى الالسنة في كل مكان وصوتها يجذب كثيرين من الذين كانوا قد انضموا الى الكنيسة قرر كيرللوس في عقله المظلم ان خصمه يجب ان يهلك كي لا يذرّ نور المعرفة الحقة عَلَى العقول ولا يفسد قطعان المسيح بتعاليمه

الهرطقية .

فجرب ان يستميلها الى « الراي المستقيم » لان فوزه بتقييد عقلها الحرّ ، الواسع ، بسلاسل الخرافات وخنق نور قلبها في ظلمات العقائد الوهمية كان اعظم واكبر في عينيه واعين مشايعيه من فوزه بذبحها واعدامها .

لكن النور الذي كانت تحمله تلك الفتاة في قلبها لم يسمح لها ان تنغمس في ظلمات عقائد بعيدة ، غريبة عن عقلها ، ونباهتها الفطرية لم تكن لتستسلم الى سفسطة رهبان كانوا يأتونها من وقت الى آخر ببراهينهم عن خلقة العالم في ستة ايام وسقوط حوآء وفداء العالم بدم ابن الله الخ .

حينئذٍ قرر كيرللوس انهُ يجب ان تموت هذه العاتية لمجد الله ودعا اليهِ قارئه بطرس — وهو قطعة من جبل وملاك من جهنم يشتعل غيرة عَلَى مجد يسوع — وامره ان يصطحب زمرة من اقوى واشرس رهبانه ويودي « بابنة الشيطان » عندما تكون عائدة من المدرسة بعد القاء خطبها اليومية .

انطلق بطرس حسب امر مولاه وجمع حوله شرذمة سوداء من الرهبان فوقف فيهم خطيباً واخبرهم ان غيباتيا « مسكونة » بالشياطين وانها اخذت جمالها وفطانتها وسلاسة خطابها عن ابليس وانها تهلك ببدعها وفلسفتها الفاسدة ارواح المؤمنين وغير المؤمنين من اهل

الاسكندرية ، ان الله يامرهم بالمحافظة عَلَى قطيعه من الذئاب والضواري .

اخذ « جند المسيح » ينمو رويداً رويداً ويسير تحت قيادة بطرس الى زقاق ضيق حيث كانت غيباتيا تمر حسب عادتها عند رجوعها من المدرسة . وكثيرون منهم كانوا قد تسلحوا باصداف وقطع آنية حادة لان قائدهم كان قدسبق واعلن لهم ان لحم الساحرة يجب ان يسلخ عن عظمها كي لا تبقى عليها رقية تتخلص بها بمعونة الشيطان .

ليل اصم ابكم لا يحرك ظلامه سوى تلك الافكار التي كانت تدفع بطرس وقومه نحو غايتهم ولا تقلق سكينته سوى طقطقة الخزف والصدف والعصي في ايديهم .

هوذا « مجاهد » شاب يعلن بصوت منخفض لرفاقه :

« اسمع كرّ دواليب . قد اقتربت . قد اقتربت . » هوذا مركبتها دنت عَلَى مهل فبان وجهها وانفعالات النهار وحلاوة الخطابة لا تزال بادية عليهِ وعيناها تبوحان بما في عقلها وقلبها من النور .

صرخة ودفعة الى الامام . جمد كرّ الدواليب تحت ستار الليل .

وقفت الخيل فارتفعت غيباتيا من مقعدها مذهولة وقد انقطع سلك افكارها واطلت تستعلم ما الخبر فرأت بدل وجوه متعبدة صاغية مسحورة بجمالها ورشاقة بيانها وجوهاً بربرية وحشية شرسة تنتظر الفريسة كذئاب خاطفة ، وعيوناً جشعة نهمة لا اثر فيها للرأفة والصداقة . ولم تكد تملك

دهشتها حتى جذبتها ذراع بطرس الى الارض . وصاح المجاهدون لمجد المصلوب : « الى الكنيسة ! الى الكنيسة ! » — لنقدم هـذه الساحرة عَلَى مذبح الهنا العالي ! ! »

اسرع بطرس الى الامام جارًّا وراءه تلك المسكينة وقد اغمي عليها وتبعهُ رفاقه مصلين ومتمتمين ولاعنين . بانت كنيسة الاسكندرية الكبيرة . فتح الله باب هيكله لعابديه ، المجاهدين في سبيل مجده فدخل بطرس يجر وراءه فريسته التي لم تبد اقل معارضة ، وسار بهـا تواً الى المذبح ورفعها الى اعلى درجة وطرحها عند قدمي المصلوب الذي كان ينظر ولا يتكلم .

هنا انتفضت غيباتيا لحظة والتفتت الى الرؤُوس المتموجة امامها والايدي المرفوعة في وجهها ثم فتحت فاها كانها تريد ان تتكلم .

رداؤُها الابيض قد تلوث بالتراب وتمزق ابان تلك السياحة الوحشية لكن وجهها بقي لطيفاً رائقاً فتاناً . وما رنَّ صوتها بين جدران ذاك المعبد المظلم المخيف حتى صاح بطرس خوفاً من ان تؤَثر كلماتها بسامعيها فتثنيهم عن غايتهم :

« هي جنية ساحرة . اياكم ان تصغوا لثرثرتها . ها ارى الشيطان في اذنها يهمس لها اسراراً . هي جنية ! »

ثم انقض عليها كذئب عَلَى حمل ومزَّق رداءَها من راسها الى عقبيها

فسقط قطعاً قطعاً الى قدميها وبان جسمها المرمري بقامتها الفتانة عرياناً امام ذهب ذاك المذبح .

صرخة يأس خرجت من صدرها اذ رأَت ذاتها عريانة امام اولئك الوحوش .

وكان المصلوب العظيم ينظر ولا يتكلم .

حينئذٍ انقض المجاهدون عليها وبدأُوا بضربها واخذوا ينتفون شعرها الذهبي الناعم خصلاً خصلاً . ثم عادوا الى لحمها فمزقوه بساميرهم ارباً ارباً ومن كان معهم اصداف وخزف ساعدوا بتجريده حتى بان العظم وتحول جمال ذاك الجسم الى قرح كبير هائل . حينئذٍ مزقوا الضلوع ضلعاً ضلعاً ونادوا بالنار ليحولوا هيكل الجمال الى رماد .

وكان المصلوب العظيم ينظر ولا يتكلم .

جاءُوا اخيراً بالحطب ورتبوه في فناء الهيكل ثم جمعوا بقاياها الطاهرة وطرحوها فوقه واشعلوه . ثم داروا حول الجنازة مرنمين « ليس اله عظيم كالهنا » ومتوسلين ان تقبل ذبيحتهم ودخان المحرقة يسبح نحو النجوم الى ان لم يبقَ من جسم الجنية سوى الرماد فجمعوه وذروه مع الرياح الاربع وانصرفوا شاكرين ربهم عَلَى ما صنعوا .

...

نام كيرللوس تلك الليلة نوماً عميقاً هادئاً لان خصمهُ لم يعد قادراً

ان ينازعه تلاميذه ويفسد قلوب رعيته . ومثله نام بطرس ثملاً بخمرة فوزه . لكن كثيرين من بقية المجاهدين حلموا احلاماً مزعجة في ذاك الليل مشككين في اعماق ضمائرهم فيما اذا كان جهادهم في الحقيقة جهاداً يليق بمجد المصلوب .

وبقيت في المعبد المظلم برك من الدم وقطع لحم بشري وخصل شعر ذهبي .

وكان المصلوب العظيم ينظر ولا يتكلم .

(مخائيل نعيمه)



لا تطلب كل الصفات الحسنة في رجل واحد

(حكمة صينية)

غرائب الافلاك

كل ما هو في هذا الفضاء اللانهائي من الشموس والسيارات الدائرة حولها والاقمار التي تدور حول السيارات التابعة لها قائمٌ عَلَى لا شيء يجري عَلَى نظام مسنون له لا يتعداه ، قوامهُ جذب كل نجم ما سواه ، وجذب ما سواه له ، فلا يعلو ولا يسفل ولا يحيد عن خطّة مسيره .

والارض التي نحن مقيمون بها هي من النجوم السيارة التي تدور حول الشمس وتستمد منها الحرارة والنور حفظاً لحياة الحيوان والنبات وهي تجذب اليها الشمس وباقي سيارات فلكها ، والشمس وتلك السيارات تجذبها هي ايضاً اليها ، لكن قوة جذب الشمس اعظم بما يكاد لا يقدر من قوة جذب كل سيار عَلَى حدتهِ ولولا ما بينها وبين هذه النجوم من البعد الشاسع لضمت اليها سياراتها اضطراراً والتهمت نارها ما عَلَى الارض من الحيوان والنبات .

وفي هذا الكون من الغرائب ما لا يقع تحت ادراك اعقل عقلاء بني الانسان ، اذ ليس لديهم من الوسائط ما يخولهم الاطلاع عَلَى مكنونات الوجود ومعرفة كنه الموجود ، وما ادركوه ليس سوى نقطة من بحر محيط محيط المعارف ، فان احد علماء الفلك نظر بواسطة المرقب اي التليسكوب

في ناحية من نواحي السماء لطخة بيضاء عَلَى هيئة سمكة ظنها سديماً اي ضباباً رقيقاً وتوهمها غيره نجماً سياراً وحسبها فلكيٌّ آخر نجماً من ذوات الاذناب . وبعد طولِ المراقبة ثبت ان دورانها لا يشبهُ دوران النجوم، فانها تسير تارةً بخطٍ مستطيل وتارةً بخط مستدير خلافاً للخطة التي تجري عليها النجوم بدورانها .

وتقرر ايضاً انها ليست من ذوات الاذناب اذ لا ذنب لها عَلَى الاطلاق ولم يكن في امكان العلماء ان يتحققوا جهة مسيرها . وقد اقتربت من الشمس في شهر تموز الغابر ثم اخذت في الابتعاد عنها تدريجاً . واثبت بعضهم انها تدور حول الشمس كل سبع عشرة سنة ونصف سنة في خط اهليلجي الشكل اي في خط مستدير تشبه استدارته استدارة حبة الاهليلج والارجح انها شمس ثابتة في مركز فلكها تدور سياراتها حولها وتدور هي وسياراتها حول شمسنا . ودوران الافلاك حول بعضها امر مقرر لا ريب فيهِ وانما يقال للثوابت ثوابت ليس لانها لا تدور حول غيرها ولكن لان خطة مسيرها هي هي بالنسبة الى ارضنا وبناءً عليهِ نراها كانها ثابتة في مراكزها .

ولا شك ان في الفضاء من الغرائب ما لا يعد ولا يقع تحت حد من ذلك ان الشمس تضطر الارض بقوة الجذب الى المسير شمالاً في جهات ما جرت فيه من قبل وتبعدها كل سنة مسافة ٣٧٥ مليون ميل

عن الحيز الذي كانت تدور فيهِ . والاجرام الفلكية عَلَى اختلاف انواعها دائرة في هذا الفضاء بنظام تام يفوق ادراك العقول وعددها لا يحصيهِ عَلَى الاطلاق عد

والسديم الذي يؤلف الاجرام السماوية ممتد من نواحي السماء الوف الوف ملايين الاميال ومنهُ ما لونهُ اسمر مظلم يحول بيننا وبين كثير من الوف ملايين الكواكب فلا نراها ومنهُ ما هو ابيض الون منير وهو كله يجري عَلَى نواميس لا يتعداها سنها له الخالق فجرى عليها وهو غير عاقل كانهُ مدرك عاقل .

(خليل الخياط)



الرجل العظيم لا يفقد قط بساطة الاطفال (حكمة صينية)

***

الهرب اول الانكسار (حكمة عبرانية)

شذرات

لثيودور سولوكوب

❊ الحجر السائح ❊

كان في المدينة رصيف حجري، فكسر دولاب احدى العربات حجراً صغيراً منهُ، ففكر الحجر في نفسهِ قائلاً :

— مالي ولهذه الحجارة الملقاة تحت الارجل قيد الاسر والتضييق — ساكون منفصلاً عنها .

فاقترب الصبي والتقط الحجر . فقال الحجر :

— هوذا قد اردت فرحلت — ما عليَّ سوى ان اريد فيكون .

فرمى الصبي بالحجر الى ناحية البيت . فقال الحجر :

— هوذا قد اردت فطرت — الحياة بسيطة تتوقف عَلَى الارادة فقط .

فوقع الحجر عَلَى الزجاج فكسره ، فقال الزجاج :

— يا لك من شرير طائش . فاجابهُ الحجر :

— لماذا لم تحد عن طريقي ؟ الا تعلم اني لا احب ان يعارض احد مروري . اريد ان يكون كل شيءٍ عَلَى ما اروم لا كما يروم غيري

ووقع الحجر عَلَى البساط فقال :

— قد طرت وتعبت والان استريح

فالتقط الخادم الحجر ورمى بهِ الى الزقاق . فصرخ منادياً رفاقه الاحجار :

— مرحباً يا اخوان . قد كنت في اعلى القصور وجربت معيشة الاغنياء فلم تعجبني ففضلت عليها معيشةَ الفقر ورخاء البال ولهذا رجعت .

❊ ثلاث بصقات ❊

كان رجل ماشياً في الطريق فبصق ثلاثاً . وذهب ولكن بصقاته بقيت

فقالت الاولى :

— نحن هنا اما الرجل فليس هنا

وقالت الثانية :

— انهُ قد مضى

وقالت الثالثة :

— انهُ اتى الى هذا العالم خصيصاً لكي يضعنا حيث نحن . نحن غاية حياته . انهُ قد مضى اما نحن فبقينا .

***

﴿ النقطة وذرة الغبار ﴾

وقعت نقطة ماء من السماء مع المطر . وكانت ذرة من الغبار ملقاة عَلَى قارعة الطريق .

ارادت نقطة المطر ان تتحد مع شيء ثابت ، فانها ضجرت من تحركها سابحة في الجو دون ان تستند الى شيء

فاتحدت مع ذرة الغبار فصارتا عَلَى الارض كرة من الوحل

﴿ ثياب الزنابق وثياب الملفوف ﴾

نمت زنابق جميلة بيضاء زاهرة في بستان في مكان محاط بالاشجار وقد كساها الحسن كبرياءه . فقالت للنسيم الطائر فوقها :

— احترس يا هذا وليكن هبوبك برفق فانا الزنابق الملوكية — حتى سليمان في كل مجده لم يكن يلبس افضل مني

وكانت عَلَى مقربة منها في روضة البقول عدة نبتات من الملفوف فسمعت كلام الزنابق فضحكت وقالت :

— من رايي ان سليمان القديم هذا كان من حزب محبي العري او من البرابرة القدماء الذين كانوا لا يلبسون سوى قطعة صغيرة من القماش يسترون بها عريهم ثم كانوا يفاخرون ويظنون انهم يلبسون بموجب الزي الاخير . اما انا فيحق لي ان افتخر . تعالوا وانظروا اليَّ فاني قد علمت

الناس ان يتقنوا اللبس . ففوق جسمي العاري الذي يسمونهُ ارومة غلالة رقيقة وفوقها شعار ويلي الشعار قميص يليها دثار ويلي الدثار صدار يليه كساء ثم طيلسان . عَلَى هذه الصورة جسمي مكسو من الاعلى الى الاسفل بموجب زي اخترعته يجعل الجسم دافئاً متمماً شروط اللياقة !



« الى الامرأة »

لو كنتُ ملكاً عظيماً لوهبت مجدي وبذلت تاجي وصولجاني وثيابي الارجوانية ومملكتي وشعبي واساطيلي وجيوشي لقاء نظرة تسمحين لي بها .

لو كنت الهاً قديراً لبذلت الارض والمياه والافلاك وقوى السماء والجحيم ، وابهة الطبيعة ، وفضاء اللانهاية ، وطباق السماء ، والابدية في سبيل قبلة منك .

(هوغو)

حكم فارسية

سألوا الثعلب : ـ الى اين انت مسرع في العدو وممن هارب ؟

فقال : ـ ان القوم يطاردون جملاً هائجًا ليقتلوه

فقالوا : ـ وما شأنك والجمل والقوم المطاردين ؟

فقال : ـ شأن العداوة يا سادة . ليقل اعدائي عني ـ هوذا الجمل ـ يصدقهم القوم فيقتلوني .

عاد احد المنجمين الى منزله فباغت امرأته تخونه فذهب مغتاظاً حزيناً يشكو امره الى القاضي . فقال له القاضي :

— يا جاهل ! انت تدعي معرفة امور السماء ، ولكنك لم تعرف ما يجري في بيتك عَلَى الارض .

وقف رجل عَلَى قبر عدوه وقال شامتاً :

— انا حي بعدك سعيد اتمتع بزوجتك ومحاسنها .

واذا باللحد قد زالت صفائحه وبانت تحتها بقية عدوه المائت . جمجمة قد امتلأت بالتراب وخلت ثقوب عينيها حيث كان يشع نور دونه نور الشمس وبقية اضلع قد جردها الزمان وكساها البلى ثوباً .

فبكى الرجل لدى هذا المنظر حزناً وعبرة وكتب عَلَى القبر :

« لا تفرح لموت عدوك فان فرحك لا يطول »

جلس مسافر متعب عَلَى صخرة في فلاة وقد اهلكه الوصب فأَن وقال :

— رباه قد هلكت تعباً واكاد اموت . تعساً لي ، فلم يرَ هذا القفر رجلاً اسوأ حالاً مني .

فسمعهُ حمار مار في الطريق وقد رزح تحت اثقال حمله فقال له:

— لا تلعن سوءَ طالعك ايها الغبي! أَجل ، ان ركوبك مطية خير من سيرك ماشياً ، ولكن اشكر ربك الذي لم يخلقك حماراً .

افتقر غني حتى اودى بهِ العسر الى المشي حافياً فبكى حنقاً مما اصابه ، واذا بهِ يرى في طريقهِ رجلاً مقطوع الرجل . فراح يبكي جذلاً وحمداً .

اذا رأَيت اليتيم يحني راسهُ باكياً فلا تلاطف ولدك ولا تحني حنواً عليه وتقبله .

كن كريما جواداً كالنخلة . اما اذا لم تستطع فكن كجذع السروة قوياً بسيطاً شريفاً .

الحمار وظله

كان الخطيب اليوناني الشهير ديموستينوس يخطب مرةً في بني وطنه عن موضوع حيوي عَلَى غاية من الاهمية للوطن ، فرأى ان القوم منصرفون عن السماع يتلاهون ويلغطون ، فقطع خطابه وقال لهم : اصغوا اليَّ فقد عزمت ان اقص عليكم فكاهة مضحكة . اكترى رجل في زمن القيظ حماراً لكي يسافر الى القرية وامتطاه وسار المكاري صاحب الحمار بجانبه . وبعد قليل من السير رأى الرجل ان اشعة الشمس لاذعة فنزل عن الحمار وسار الى جانبه يحاول ان يستتر في ظله متقياً الشمس . فأخذ المكاري يمنعهُ عن ذلك مدعياً انهُ انما استأجر منهُ الحمار لا ظله . اما الرجل فقال انهُ باستأجاره الحمار قد استأجر معهُ ظله ، فحدث بين الاثنين جدال .....

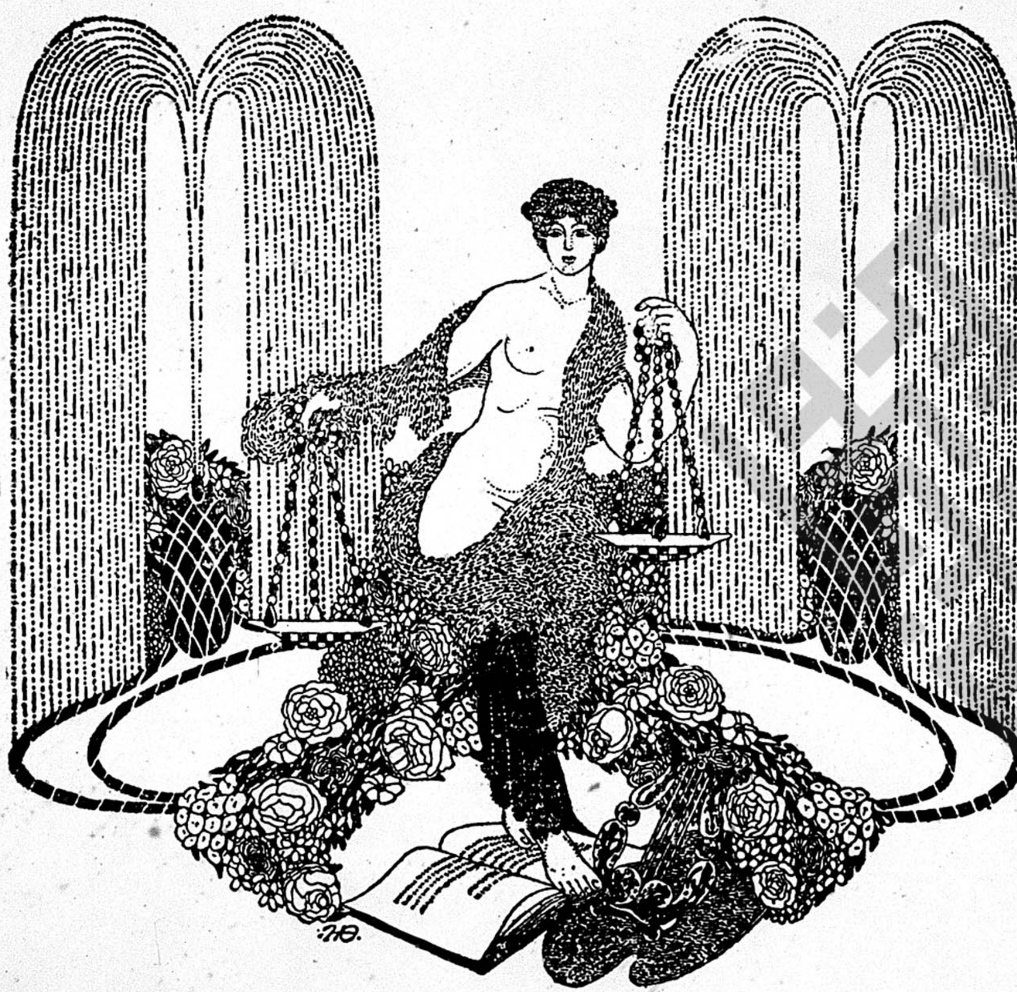
وهنا قطع ديموستينوس خطابه ونزل من عَلَى المنبر فهتف الشعب بصوت واحد :

— الا اكمل قصتك واخبرنا كيف انحسم الجدال

فقال لهم الخطيب ساخراً :

— ان الجدال انحسم حالاً لان الاثنين اجمعا عَلَى ان شعباً لا يصغي الى امور تهم الوطن ويصغي الى قصة تافهة لهو شعب يقود وطنه للهلاك .

باب الانتقاد والتقريظ



نظرة سريعة في مقالة الريحاني

في الجزء الخامس من «الفنون»

بقلم الخوري ايليا الخماني

الآن وقد سفرت «الفنون» وسدّت الفراغ في محيط الصحافة العربية في هذه الديار وقضت لُبانة المتطلعين الى الأَدب المنتقى فاننا نرحب بعروس المجلات وواسطة عقدها الفريد ونسأَل ان يُكتَب لها طول العمر في جهادها العلمي بفضل اقبال المتادبين عليها ومناصرة تجارنا الاغنياء لها، والا رمانا الاغيار بالزهد في الادب، والتكالب عَلَى جمع النشب، وهي ولا جرَم سُبةٌ يتحاشى عنها العالم والجاهل، ويتبرأ منها النبيه والخامل.

واذا صحّ ان جمال كل جسم قائمٌ بتناسب اجزائهِ كانت مجلة الفنون جميلة حسناء يزينها مباحث مبتكرة تصوغها اقلام المفكّرين، فضلاً عن جمال ذوق صاحبها في انتقاء المواضيع اللاذة لقرّائها واصدارها عَلَى ورقٍ صقيل بحرف جميل وتبويب قلّ ان رأَينا له ضرباً في سائر المجلات العربية المعروفة لعهدنا الحاضر. اما رسومها فهي موسيقى النفس قد استمدت جمالها من زرقة البحر وخضرة المرج، واستعارت رقتها من نسمات الفجر في نيسان. وهناك اشياء من معاني الرسوم ورموزها تقف



ابو الطيب المتنبي — لجبران خليل جبران

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي ... واسمعت كلماتي من بهِ صمم
الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

الاقلام عند وصفها خاشعة ، مقرَّةً بالعجز والتقصير . ويكفي انها تدخل عَلَى نفس المتأَمل فيها رهبة الفنّ ، فيحار بين رمزٍ سام ، ومغزى بليغ ، وذكاءٍ في الصنع ، وبعد في التخيل ، ودقة في التصوُّر لا يدركها الا من صاغ الله نفسهُ من معدن اللطف . سبحانهُ انهُ يُدرك الابصار ولا تدركه الابصار وهو اللطيف الخبير .

هذه كلمة مختصرة قلتها في مجلة فريدة قد تصباني حسنها واستهواني افتنانها ، فاطلقتُ القلم في تقريظها بعد طول عهد الاحتباس . ويقيني اني معبرٌ بها عن آرآء عشاق الآداب ورُوَّاد المحاسن الصحافية ومريدي المفاخر القلمية . اما مَن كان في عيونهم عمىً وفي قلوبهم مرضٌ — وما اكثر هؤلاء — فانهم ينكرون الشمس في رائعة النهار

ومن يَكُ ذا فمٍ مُرٍّ مَريضٍ ... يجدْ مُرًّا بهِ الماءَ الزلالا

أَدخل الآن عَلَى موضوعي الذي اخترتهُ وهو « نظرة سريعة » الخ فاقول : اني شممت عَلَى مقالة « صديقي الاعز » و« رسم الاستاذ ناصر الدين البغدادي » رائحة الاسلوب العربي ورأيت الريحاني كاتب القطعتين الآنف ذكرهما قد تحدى في انشائهما طريقة المويلحي ومَن تقدمهُ من كتَّاب المولدين ، فاقبلتُ عَلَى قراءتهما اقبال المشوق المستهام ، فحمدت للكاتب الاديب رجوعه الى الصواب في تقرير مراده ونشر افكاره بالنهج المعروف لابنآء العرب ، وتمنيت لو اخذ نفسه بهذا الاسلوب

لما فيهِ من جمال وكمال . ثم رحلت بفكري الى استقصاء المعاني في مسطوره ، فاذا هو يطرئ صديقه الاستاذ ناصر الدين اطراءً كبيراً ، وقد تجاوز الحد في وصف ما اشتملت عليهِ نفسه من الصفات الادبية والاجتماعية حتى خلتهُ من تلاميذ المغفور لهما جمال الدين الافغاني ومحمد عبده المصري ، ولكنني لما قرأت خطبة الاستاذ في المسجد : « ويل امراء الناس ، من عواقب الافلاس ، ويل امرآء الكلام من منطق الايام ، ويل امرآء المؤمنين ، من كتائب الحق واليقين ..... غداً ينقدون ، مما يضربون ، غداً يشربون ، مما يسقون . غداً يأكلون ، مما يطبخون غداً يحصدون ، مما يزرعون ..... ازرع البر والقناعة ، تحصد الحكمة والدعة . ولكنك اذا زرعت الاثرة ، تحصد النقمة ، واذا زرعت الفسق والفحشاء ، تحصد الويل والبلاء . (الى قوله) : جيرِ ان الزارعين فساداً ، ليحصدون رماداً .... اليوم ديوان واجلال ، وغداً سجن واغلال ، اليوم قبة مضروبة ، وغداً آلة منصوبة ، اليوم تاج وصولجان ، وعود وكاس وقيان . وغداً ؟ — لا جنازة غداً ولا اكفان

لنا النفوس وللطير اللحوم ولل   وحش العظام وللثوارة السلبُ »

علمتُ ان الاستاذ ناصر الدين قد تتلمذ لقسّ بن ساعدة خطيب الجاهلية المشهور واول من توكأ عَلَى عصاه وقال : اما بعدُ

يا للأَسف ان هذا الاستاذ الذي أُولِيَ شرف الخطابة في ملاءٍ

من الناس ايام الجمع الشريفة في المساجد الآهلة بجماهير المصلين يحاول ان يقلد في الجيل العشرين خطيب العرب في العصور المظلمة .

أَليس ابن ساعدة هو القائل من جملة خطبة طويلة له ؟

« ايها الناس انظروا واذكروا . من عاش مات ، ومن مات فات . ليلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذات ابراج . وبحارٌ تزخر ونجوم تزهر وضوءٌ وظلام . وشهور وايام ومطعمٌ ومشرب وملبس ومركب . ما لي ارى الناس يدخلون ولا يخرجون أَرَضوا بالمقام ، فاقاموا أَم تُركوا فناموا ؟

للذاهبين الاولين   من القرون لنا بصائرْ . . . »

فاناشدك الله ، ايها القارئ العزيز ، ما الذي فهمته من خطبة الاستاذ ؟ وماذا حصلت من الفائدة من خطبة ابن ساعدة ؟ كلٌّ ما في الخطبتين كلمات مصفوفة ، واسجاعٌ ركيكة ، وفِقرٌ باردة . عَلَى اننا نجد لابن ساعدة بعض العذر في اتباعه هذا الاسلوب من الكلام مجاراةً لاهل عصره ، ولكن ايُّ عذر للاستاذ في تحدّيه هذا المذهب الوعر وركوبه ذلك المركب الخشن ؟

أَين الكلام يا استاذنا فيما ينمي الفضيلة في نفوس الناشئة الاسلامية البيروتية ويقتلع الرذيلة من صدور بعض الشيوخ والمعمرين الذين شابوا وانحنت ضلوعهم عَلَى جراثيم التعصب المذهبي حتى باتوا ينظرون الى كل

من خالفهم في العقيدة بمؤخر عيونهم ، ويعتبرون كل من ليس مسلماً عدوًّا لله وللوطن وللعالم اجمعين ؟ اين الكلام في ما يُذهب البغضاء ويقضي عَلَى الحقد المختزن في الصدور ، ويبيد الفوارق الملية والجنسية التي تثير فتناً كقطع الليل المظلم بين ابناء الوطن الواحد عَلَى ما بين القوم من تشابك في المصالح وتلازم في الجوار ؟ اين نصيب السامعين من خطبة لا يجدون فيها غير الفاظٍ رنانة ، واسجاع طنانة ؟ أَلم يقع في سمع الاستاذ قبل القاء الخطبة بيوم كلمات زميله صاحب المكتبة وقوله عن صديقه الريحاني انهُ « افرنجي كافر ولا شك » لان عَلَى رأسهِ قبعة؟ فايُّ اشارة او تلميح جاءَ في خطبة المسجد محرّضاً عَلَى وجوب الاقلاع عن التعصب الممقوت والتنطع الذميم ؟

ان رذيلة التعصب وامثالها من الرذائل المنتشرة بين الجماعات في سوريا مسكوتٌ عنها كأَنها ليس بالشيء المذكور . وقد بات من همّ معظم الخطباء في المحاريب والوعاظ عَلَى المنابر تنميق الكلام ليكون منطبقاً عَلَى قواعد الفصاحة والبلاغة . اما تلك المنكرات والفظائع والاوهام والاضاليل وضروب الجور والاعتساف التي سال سيلها في قطرنا العزيز فلا يتصدى لها خطيب ولا مرشد .

مصيبة ابناء الشرق في معظم شيوخهم وغالب وعاظهم انهم باتوا في مناصب الارشاد والوعظ والنصح والانذار يتوقعون ما يجري عليهم من

الرواتب ، وما يطمحون اليهِ من المراتب ، فهم — والحالة هذه — كعجائز المطابخ : يا كلنَ ويحملقنَ ، او كبقر الجنة : تا كل علفها وتمرح

هذا ما عنَّ لي من الكلام عَلَى خطبة المسجد سطرتهُ بملءِ الحرية . ومأمولي انهُ لا يسوءُ الاستاذ ولا صديقه ، لان السكوت في مثل هذا الموقف اساءَة الى النوع البشري . ونحن الى اعلان الحقيقة والجهر بالحق والاخلاص في النصح احوج منا الى التدليس والمخادعة . وقد جرأَني عَلَى النطق بمثل هذه الحرية دون غمغمة او تلويح ان ناصرَ الدين « حر الكلمة . لا يوارب ولا يصانع ولا يحابي » عَلَى ما وصفه صديقه الريحاني .

بقي ان اومئ هنا الى آية قرآنية اقتبسها صديقنا الريحاني وضبط شكلها هكذا « ولا تسأَلوا عن اشياءَ إِن تبدَ لكمْ تسوءَكم » ولو راجع المقتبس هذه الآية في مظانها لوجدها عَلَى غير هذا الشكل الشائن الذي يغضب اصدقاءَه تُبَّاع هذا الكتاب ويجعله دريئة لسهام انتقاداتهم الحادّة .

في عالم التأليف

مطبوعات جديدة

(مرشد طالبي التجنس) تاليف خليل بن عبدالله الخياط م٠ع٠ طبع بمطبعة الاتلنتيك في نيويورك

هو كتاب مفيد للسوريين الراغبين في اعتناق الجنسية الاميركية في الولايات المتحدة . وقد ضمنهُ المؤلف كل ما يهم السوري معرفته من هذا القبيل : من جداول ومسائل مع القانون الاساسي الاميركي — كل ذلك باللغتين العربية والانكليزية · وبازاء كل جملة انكليزية لفظها الانكليزي بالحرف العربي تسهيلاً لمن لم يتقن الانكليزية ·

(درر المعاني في رد الغساني) تاليف شكري بن خليل سويدان الغساني· طبع بمطبعة جريدة الهدى في نيويورك

هو كتاب يجمع ثلاثة ردود للمؤلف عَلَى ثلاث رسائل للكاتب الفيلسوف الشهير تولستوي في العقل والايمان والصلاة . وقد قال المؤلف انهُ رأى كثيراً من رسائل تولستوي منافياً لما هو معروف ومعتقد بهِ عند اكثر من ٥٠٠ مليون نفس في الكرة الارضية فلهذا احب ان يبين رأيه في هذا المعنى ، ولكل انسان رأي . . .

(الروايات العصرية) مجلة روائية تصدر في سان باولو البرازيل

مرتين في الشهر وسنتها عشرة اشهر لمنشئها رشيد عطيه اشتراكها السنوي ١٥٠ غرشاً في البرازيل و١٦٠ غرشاً في الخارج

(الحكيم) جريدة اسبوعية تصدر في عين زحلتا — لبنان ويقدم ربحها لخزينة لبنان ، صاحبها ومديرها المسؤول توفيق رعد ، اشتراكها في بيروت ولبنان ريالان .

(الحكمة) مجلة دينية تصدر مرتين في الشهر في دير الكرسي الانطاكي المشهور بدير الزعفران في ماردين . ينشئها مخائيل حكمت جي اشتراكها في الممالك العثمانية ريال وربع وفي الخارج ثمانية فرنكات ·

(الارتقاء) احتجبت جريدة جراب الكردي اليومية في نيويورك لصاحبها ومحررها انطون انسطاس زريق وظهرت مكانها جريدة الارتقاء — وهي جراب الكردي بمواضيعها وادارتها واقلامها — تصدر ثلاث مرات في الاسبوع واشتراكها في الولايات المتحدة وتوابعها والمكسيك ٥ ريالات وفي الخارج ٧ ريالات .

(الخليل) مجلة روائية تصدر في بيروت كل اسبوع لصاحبيها رزق الله سركيس وخليل خوري كسيب اشتراكها السنوي خمسة عشر فرنكاً .

(لنتبعهُ) رواية للكاتب البولوني الشهير هنري سينكيفتش · عربها عن الروسية عبده سليمان جزره · طبعت في مطبعة حمص

(بين اليمن والشام) قصيدة لشبلي بك ملاط · طبعت بمطبعة جدعون في بيروت

هذه القصيدة ليست مدحاً ولا هجواً ولا فخراً كما هي العادة في قصائد شعرائنا المتأَخرين بل هي من الشعر الوصفي . يأْتي بها ناظمها علَى ذكر واقعة غرام تاريخية جرت في ايام معاوية الاموي ·

كتب اخرى مرسلة الى الادارة

(الغريب في الغرب· الجزء الثاني) ديوان لناظمه مخائيل رستم الشويري . طُبع في نيويورك سنة ١٩٠٩

(الريحانيات. الجزءان الاول والثاني) وهي مجموعة مقالات وخطب وشعر منثور لامين الريحاني طبعت في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠·

(كتاب خالد The Book of Khalid) باللغة الانكليزية · تأليف امين الريحاني. طبع دود وميد وشركائهما في نيو يورك سنة ١٩١١



باب الشعر

ذكرى سوريا

لمن بين هاتيك الحزون طلولُ   غدت فوقها روح الشقاء تجولُ

بدت حول لبنان القديم كئيبةً   عفتها رياح جمة وسيولُ

رياح هوانٍ جدَّ في الليل عصفها   كأنْ في صداها مأتم وعويلُ

تجاوبت الاصداء فيها فاصبحت   وفي كل رجع يستغيث ذليل

تأملها طرفي عَلَى ضوء وامضٍ   فاطبق مرتاعاً وفيهِ ذهولُ

رأى فارعوى فارتد يذرف دمعه —   وما الدمع في دفع الشقاء فعول ؟

عَلَى وطن لم يبقَ فيهِ سوى الشقا   اذا كان هون فهو فيهِ نزيلُ

فريسة حيفٍ فارقتها حُماتها   ولم يقها شرّ العدو خليلُ

أَتلك مغاني المجد من عهد تدمرٍ   أَناخ عليها الذل ليس يزولُ ؟

أَتلك بلاد الذائدين عن الحمى   قديماً غدا فيها يسود دَخيل ؟

أَتلك التي كانت تسل سيوفها   لفتكٍ غدت منها الدماءُ تسيل ؟

هي الدار، نفس الدار، لكن مجدها   مضى، ولنجم في السماء افولُ

هي الدار، نعم الدار، لكن اهلها   عراهم عَلَى بعد العصور خمولُ

فاضحوا عبيد الفاتحين ولم تزل   تدوسهم بالفاتحين خيولُ

نعم، تلك سوريا وتلك ربوعها   وقد طال فيها للشقاء نزول

اجل، تلك سوريا الجميلة قد قضت   ولم يبق فيها للحياة سبيلُ

وقد نبذوها ميتةً منذ ادهر   كجيفة عيرٍ للكلاب تأولُ

ولكن فيها لم يزل بعض لمحةٍ   من الحسن ما كان الممات يزيلُ

كراقدة في نعشها وجبينها   عليهِ غيوم للشقاء تجول .

...

الا انعم بقطر مدهشٍ بجماله   عليهِ بهاء الشرق ليس يزولُ

تعزُّ بهِ هام الجبال ووعرها   وتزهو بهِ وديانه وسهول

اذا اشرقت شمس الصبيحة عانقت   من الارض قطراً مثله لقليل

فاصباحه فجر الخليقة كلها،   وآصاله نور الحياة يسيل

وامساؤُه باب الجنان يصونه   ملائكة، والليل بعلزبولُ

به الارز يسمو في الجبال ومثله   عَلَى السهل حور هامس ونخيل

وسوسنة الوادي تتيه بعرفها   عَلَى غاره والزيزفون يميل .

ومن تحت اهداب الصخور عَلَى الثرى   ينابيع ابكارٌ اليك تسيل

وتدعو الى حضن الظلال بروضة   يراود فيها العاشقين مقيل

وفي خمرَ الغدران بين مروجها   رعاة باكناف الظلال نزول

يُعيدون احلام الغرام بشدوهم   مزاميرهم حتى يرقَّ عذول

بلاد بها ساد الجمال فلا ترى   بها منظراً إلاَّ وقلتَ : جميل

أليس حراماً ان داراً كهذه   يخيم فيها الذل ليس يحول

وكان بها في القدم كل عزازةٍ   وكانت علَى كل العداة تصول
بها اشرق التهذيب والعلم والهدى   كنجم منير، فاعتراه افول
بها ارسل الرحمان قدماً دعاته   فما حفظت دعوى الاله عقول
فلم يبق من مجد وعلم بقيـة   سوى دمن قد خلدت وطلول
بها رمة المجد العظيم وقبره   تخبرنا ان الزمان يدول
قبور بها عز الجدود قد اختفى   وما حولها خزي البنين يطول

***

أيا ارض سوريا كرهناك موطناً   وطاب لنا خلف البحار نزول
كمومسةٍ قد صرتِ يعرض جسمها   مشاعاً، اليهِ للجميع وصول
نبذنا لعار الذل ذكركِ. كلما   ذُكرتِ خجلنا، والنبيل خجول
ايا ارض سوريا بماذا نفعتنا؟   أأورثتنا مجداً اليك يأول؟
اكنت لنا اماً فشددت عزمنا   وعلمتنا ان الخمول وبيل؟
لماذا إذن نهواك حباً مبرحاً   به كلنا رغم الطبيب عليل؟

***

أيا ارض سوريا، اغتفاراً لذنبنا؟   فنحن خملنا، لا عليك خمول
هي الارض نفس الارض في المجد والشقا
وإن ذلَّ فيها الشعب فهي ذليل
لنا العار أنا قد قنعنا بذلنا   ونمنا نُرجي انهُ سيزول

وكيف يزول الذل والعزم بارد   ونصبح والليل المنيخ طويل؟
أيا قوم، قد طال الزمان وانتم   سكوتٌ فهل هذا السكوت يطول؟
اياحاملي نير الشقا برقابكم   اما لكم غير الخمول سبيل؟
فانتم عبيد للعبيد، ألا افهموا،   وليس لكم في الخاملين مثيل
جررتم عناء الخزي طول حياتكم،   وحمل العنا طول الحياة ثقيل
حنانيكم! ما فيكم اليوم همة   وعزم وسيف باتر وطبول؟
فان وحوشاً في القفار بلاحجى   تدافع عن اوكارها وتصول

(الياس ت. صباغ)

بين العواصف والاماني

فوق هاتيك الصخور الشاهقة   قد تطلبتُ العواصف
وعلَى أعلى الاماني البارقة   حام قلبي غير خائف

فدوى الرعد وثارت وطمت   كل قوات العناصر
والاماني في فوادي احتدمت   واقلتني الشواعر

وتراءى لي : الرعود امتزجت   بالاماني   والرياح
... تلك احلام بليل ادلجت   فارقتني   في الصباح

(أَليف)

من أنا ؟

(لوالت ويتمان)

من ذا انا غير طفلٍ يودُّ ترديدهُ اسمهُ
وينتشي عند ذكرٍ كأَنما فيه نغمه
وأنت ياذا أمثلي تحب في اسمك طعمه ؟
أم لا ترى فيهِ إلا رسمَ الحروف بكلمة ؟



مقتطفات واخبار علمية

(تمثال لهوغو في منفاه) ستهدي الحكومة الافرنسية الى الحكومة الانكليزية تمثالاً لهوغو بمناسبة عيده في شهر شباط القادم . وسينصب هذا التمثال في جرنسي قرب الصخرة التي كان مؤلف «خرافات الاجيال» يحب الجلوس عليها في منفاه منصتاً الى ضجيج الامواج .

(البريد الانكليزي) نقل البريد الانكليزي في العام الماضي ٣،٢٩٨،٠٠٠،٠٠٠ مكتوب فكانت الزيادة ٣٠٠،٠٠٠ مكتوب على ما نقله في العام الاسبق . وقد نقص عدد البطاقات البريدية المنقولة في العام الماضي عن العدد المنقول في العام الاسبق ، وذلك يدلنا على ان الانكليز خففوا ولعهم بالبطاقات المصورة .

(غلاء المعيشة والجنون) ظهر من الفحص في ملاجئ المجانين في ولاية اوهايو من الولايات المتحدة ان لغلاء المعيشة يداً في اكثار الجنون في السنين المتاخرة ، فثمن الذين جنوا في العام الماضي كان سبب جنونهم غلاء المعيشة واهتمامهم واغتمامهم لدى عجزهم عن اعالة ذويهم

(جمعية اتحاد الشحاذين) لم تكفنا جمعيات اتحاد العمال والعاملات في كل فروع العمل حتى قام الشحاذون مؤخراً والفوا في مدينة لوس

المجلس من ولاية كاليفورنيا جمعية اتحاد جعلوا لها رئيساً وموظفين وقوانين وغايتهم منها مناوأة رجال الضبط الذين يطردونهم من اماكنهم في الازقة والزوايا .

(خصب المكروب) قال الدكتور بلينس مدير القسم البكتيري في جامعة كنساس ان مكروباً واحداً اذا كان في ظروف موافقة يولّد منهُ في ٤٨ ساعة ١،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ مكروب . والمكروب عَلَى تعدد انواعه وسرعة تولده ليس فيهِ سوى بعض اجناس قليلة تؤذي الانسان .

(ديون الممالك) يبلغ ديون الممالك الان في العالم كله ٤٢،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال وقد كان يبلغ نصف هذه القيمة من اربعين سنة واكبر دين هو دين الحكومة الافرنسية ، فانها مديونة بما قيمته ٦،٢٨٤،٠٠٠،٠٠٠ ريال وتليها روسيا وعليها ٤،٥٥٣،٠٠٠،٠٠٠ ريال من الدين ، فانكلترا وعليها ٣،٤٨٦،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، فايطاليا وعليها ٢،٧٠٧،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، فاسبانيا وعليها ١،٨١٥،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، فالهند وعليها ١،٤٧٥،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، فاليابان وعليها ١،٢٤٢،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، فالمانيا ودينها ١،١٧٨،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، فالنمسا وعليها ١،٠٥١،٠٠٠،٠٠٠ ريال وفي اخر الكل الولايات المتحدة ودينها ١،٠٢٥،٠٠٠،٠٠٠ ريال

فكاهات

حركة الفكر وحركة الكلام

ميمون — الصلع اكبر دليل عَلَى عقل مدرك .

مفتون — كيف تأوّل هذا ؟

ميمون — العقل المدرك يشتغل كثيراً فهو يحرّك الدماغ بسرعة عظيمة لا تدع مجالاً للشعر ان ينبت .

مفتون — وايم الحق لقد نطقت صواباً . سرعة التحرك إذن لا تعطي مجالاً للشعر ان ينمو . هذا يشرح لي امراً آخر فهمتهُ الان

ميمون — ما هو ؟

مفتون — الا علمت لماذا لا ينمو للنساء لحى

الشاب — انك احسن راقصة في العالم .

الانسة — (بغنج) أَتظن ذلك ؟

الشاب — نعم . واقول ان رقصك اكثر تأثيراً واجمل من رقص سالومي امام هيرودس ذلك الرقص الذي فازت بهِ برأس يوحنا المعمدان .

الانسة — ما تعني بذلك ؟

الشاب — برقص تلك الفتاة خسر رجل واحد راسه اما رقصك ياسيدتي فانهُ يفقد الناس كلهم عقولهم .

— هل اتاكِ رقعة دعوة الى حفلة جمعية العزّاب ؟

— نعم . وسوف اكون الامرأة الوحيدة في تلك الحفلة

— انك تذهلينني . كيف ذلك وفي علمي ان كل عضو له الحق بارسال دعوة واحدة الى احدى النساء .

— ان كلاً من الاعضاء ارسل اليَّ دعوته .

الزوج — هل عندك لحم طري اليوم ؟

اللحام — عندي ، عندي ياسيدي ، لحم طري كقلب السيدات .

الزوج — لا حاجة لي بهِ . اعطني اوقية مقانق .

المعلم — اخبرني اي سنة غزا فيها وليم الظافر بلاد الانكليز ؟

الصبي — (صمت ولم يحر جوابًا)

المعلم — افتح كتابك ايها الكسلان وانظر . اقرأ عند السطر الخامس . ماذا ترى ؟

التلميذ — وليم الظافر ١٠٦٦

المعلم — لماذا لم تحفظ اذن عدد السنة .

التلميذ — ظننت ان ذلك هو عدد التلفون في منزله .

رواية

اسرار البلاط الروسي

تابع

— أأنت موقن انها هنا ؟

— لتأخذك الابالسة ياهذا ، اتظنني اعمى فلا اعرف ابنة عمي الحسناء اذا نظرتها ؟

— كم مرة قلت لك ياتوفاروف ان لا تدعوها ابنة عمك . الا تعلم ان ناتاشا لم تكُ قط اختي بل كانت ولم تزل رقيقة في جملة ارقائي واستطيع ان اعاملها حسبما اشاء وان اعاقبها عَلَى هربها ان وجدتها .

— كفاك يا مكاروف . اتستطيع ان تعاقب هذه الفتاة لتبرمها من حبك الاغتصابي وسوطك الموجع . دعها انها فلاحة حمقاء لا تفهم .

— دع عنك هذا الهذر واعلم اني ساجدها مهما صار ولو انفقت في هذا السبيل خمسين الف ريال .

— قه . قه . قه ! الامر بسيط . لا اهون عليك من خمسين الفًا اذا كنت تصطنع الاوراق المالية بنفسك . ما هي المائة الف ريال او النصف مليون ؟ إن هي الا نتيجة عمل نصف ساعة عَلَى آلتك تغنم مقابلها تلك

الحسناء الفتانة ناتاشا

— لتكن من نصيب الشياطين ! انك يا هذا سكران ! الا تعلم انهُ قد يسمع احد ما فهت بهِ فيفشي سرنا . ساقتلع لسانك من اصوله اذا لم تتمكن من حفظهِ وراء اسنانك

— الحق معك اني شارب قليلاً هذه الليلة وذلك ارضاءً لخاطر الصحب ولتشجيع هذا الابله خثالينسكي ابن التاجر عندما كنت تقامر واياه وتسلبهُ ذهبه بالعابك الجميلة

خمسة الاف ذهب خسر هذا الاحمق وسألك ان تعود وتقامر معهُ غداً . لا بأس يمكنك ان تنهبهُ غداً ايضاً فقط عليك ان لا تأخذ منهُ سوى ذهب فانك تعلم قيمة الاوراق المالية اذا كنت تحسن تزويرها بسهولة . . .

— كفَّ عن الصراخ يا هذا . . .

واذ رأى المتكلم ان من المستحيل اسكات رفيقه لانحلال عقد لسانه من شرب الشمبانيا اعجل سيره وتقدمه

ولم يكن هذان الاثنان سوى مكاروف الغني صاحب القرية سيد ناتاشا وابن عمه ورفيقه في لهوه توقاروف . والسبب في وجودهما في بطرسبرج ان الحكومة حرمت مكاروف املاكه لقساوته في معاملة فلاحيه ولجرائمه المتعددة فجاء العاصمة مع ابن عمه وكانا يعيشان فيها

عيشة سرّية لا يدري احد ما يصنعان . فوقع مكاروف في بطرسبرج مرتين في قبضة البوليس متهماً بتزوير الاوراق المالية ولكنهُ تخلص من السجن بفضل علائقه السرية مع رجال البوليس فانهُ كان كثيراً ما يخدمهم في قضايا سرية ولهذا كانوا يخطرونهُ قبل كبس منزله ليخفي كل اثر فلا يجد المحققون شيئاً ضده

وكانت مهنة مكاروف وابن عمه محصورة في غش القادمين الى العاصمة من الداخلية وقودهم الى الحانة حيث يسكرونهم وينهبون ما معهم بالمقامرة ، وفي تزوير الاوراق المالية

في احد الايام بينما كان توقاروف يتمشى على جادة نيڤسكي رأى ناتاشا فاراد ان يتعقب خطاها ليعلم اين تسكن لانهُ كان عارفاً مقدار حب ابن عمه لها حباً غير اخوي ولكن بصره اضاعها . ولما درى مكاروف بذلك ثار فيهِ الحب الشهواني الكامن واشتعل اكثر من السابق فاقسم ان يجدها وان يتمتع بها مهما كلفه الامر

ولما وصل مكاروف الى احدى زوايا الساحة عطف في شارع ودخل الى قبو الخمارة ولحق بهِ توقاروف ولدى دخولهما رن جرس الباب مؤذناً بقدوم ضيوف ففتح صاحب الحانة المدعو تروفيمتش عينيه الناعستين ورمق بهما الداخلين دون ان يقوم من مجلسهِ واذ عرف بهما زائرين معروفين عاد فاطبق عينيهِ واستغرق في نعاسه فقال له مكاروف :

— ارسل لنا الى الغرفة الداخلية زجاجة من اجود خمور ماديرا

ففتح تروفيمتش عينيهِ ببطءٍ وقال له :

— أَحق ما تقول ؟ يلوح لي انك تطلب فوق قدرك . ياغلام . املأ كأسين من الخمر الاعتيادية وقدمها لهاذين السيدين . وانت ياسيدي مكاروف اخطرك ان هذه آخر مرة اقدم لك مشروباً عَلَى الحساب .

فقال له مكاروف بفظاظة :

— من قال لك ياهذا اني اريد ان استدين ؟ قدم حالاً زجاجة من خمر ماديرا والا تندم

ثم رمى اليهِ بدينار ذهبي جديد فابرقت اسرة الخمار لدى رؤيته وزال عنهُ نعاسه في لحظة ونهض مسرعاً كأن شبابه عاد اليهِ وقال :

— امرك مطاع . امرك مطاع ياسيدي مكاروف ، ويلك ياغلام ، الم تسمع ما امرك بهِ مولاك مكاروف؟ خذ اليهِ سريعاً زجاجة من افضل خمر ماديرا

ثم التفت الى مكاروف وقال له :

— الا تشرفني ياسيدي بان تشرب معي كاساً . فاجابهُ توفاروف

— نشرب معك نشرب .

فلم يعر الخمار اذناً لقول توفاروف واتم كلامه موجهاً الحديث الى

مكاروف :

— اعجبتني ياسيدي اعجبتني . يظهر ان السعادة صيرتك غنياً . امات احد اقاربك فورثت غناه ام تركت لك حبيبتك منجم ذهب في سيبيريا ؟ عَلَى كل حال حسن ان يكون المرء غنياً . الا تتكرم ياسيدي بدفع ما لي عندك من القديم فقد صار لك برهة لم تدفع لي .

فرمى مكاروف عَلَى المائدة بضعة دنانير قائلاً :

— خذها ايها الذئب الكاسر .

ثم مضى مع ابن عمه الى الغرفة الداخلية حيث كان رهط من الاشقياء عَلَى شاكلتهِ .

فقال صاحب الخمارة في نفسهِ :

— من ترى وقع في فخ هذين اللصين فسلبوه هذه الدنانير ؟ ولكن ما لي ولها . قد دفعا ما عليهما وما بقي لايهمني . لاشك انهما سينهيان حياتهما في المنفى او السجن .

وكان قد اجتمع في الغرفة الداخلية جمهور تتراوح اعمار افراده بين الشيخوخة والمراهقة فهنالك اول من ترى شيخ اشيب هو رئيس العصابات واخر من تلحظ فتيان لم يتجاوزوا سن الصبوة . اما الشيخ فلم يكن يشارك العصابة في اعمالها الليلية بل كان يضع لها الخطط لتمشي بموجبها ويراقب اعمالها ويديرها بخبرة وعناية وكان له الامر المعلى والكلمة الاخيرة في كل

شيء لان القوم كانوا يقدرون له خبرته حق قدرها ويسمعون كلامه ككلام نبي منزل ·

وكان هنالك كثير من الكهول والشبان وبينهم عدد من الجواسيس الذين كانوا يترقبون لهم في ذلك المجتمع فريسة يتحفزون للوشاية بها شأن تلك الايام التي كثرت فيها الوشايات السياسية وذهب في سبيلها عدد من الضحايا البريئة ·

وكان القوم في هذه الغرفة قد انقسموا الى حلقات ففريق قد تجمهروا حول مائدة يقامرون عليها وقد علت ضجتهم والورق في يد رجل اشقر هيئتهُ منكرة ، وفريق آخر بعضهم يلعبون بالداما والبعض يتسامرون ويتفاخرون بوقائعهم وامام بعض الافراد زجاجات من الخمور المتنوعة من النبيذ الى الشمبانيا مما يدل عَلَى ان هولاء اللصوص لم يكونوا ليكترثوا بالمال ما دام شيء في جيوبهم وما دامت ايديهم تحسن النشل والفتك والنهب والنقب ·

دخل مكاروف وتوفاروف الغرفة دون ان يلحظ احد قدومهما لاشتغال القوم بما جرى عَلَى مائدة القمار ، وذلك ان الرجل الاشقر وبيده الورق تلاعب مغافلاً القوم ووضع لنفسه ورقة رابحة فصاحت اصوات شتى :

— قد تلاعبت يا شرفود · هذه التسعة يجب ان تقع الى يسارك ·

فصاح شرفود :

— كذبتم !

فقال له احدهم :

— قد رأيت بعيني ان ورقة التسعة كانت فوق الورق فاين راحت ؟

— ماذا يدريني اين راحت ؟ حين تطلع تعلمون اين كانت ·

فوثب شاب جبار وضرب الطاولة بقبضة يده بعزم وصاح :

— انك محتال منافق !

فاجابهُ شرفود وهو يضع النقود المتكومة في جيبهِ لئلا يختطفها الحاضرون

— لاتحترش ياهذا ! اني لعبت باستقامة · اما اذا كنتم كلكم تنوون الخصام فاني لا العب ·

ثم رمى الورق عَلَى المائدة وانحرف عنها ·

وكان هذا المقامر الاشقر في مغارة اللصوص نفس شرفود الجاسوس الشهير واليك قصته :

هو ابن حداد انكليزي وكان غنياً فافتقر واضطرتهُ الحال الى ان يقبل وظيفة مدرّس اللغات الاجنبية لاولاد احد الاغنياء الماليين المدعو اوشاكوف القاطن ولاية سمولنسك في داخلية روسيا · وكان لاوشاكوف هذا ابنتان فاحب شرفود الشاب احداهما وتزوج بها سرًّا ولم يجسر ان

يشهر زواجه لانهُ لم يكن ذا منزلة او وظيفة تليق فعزم لذلك ان يخدم الجندية عساه يترقى الى درجة ضابط فيستطيع إذ ذاك ان يعلن زواجه ويكسب رضى حميه، فعين بمساعي الجنرال ستال في الفيلق المدعو بوخسكي اولانسكي ، ثم دخل في خدمة ك . ل . داڤيدوف احد دعاة الاصلاح ليبني له مطحنة ميكانيكية وهناك لاحظ ان فريقاً من الوجوه يزورون منزل سيده في اوقات مختلفة وبينهم صداقة وولاء وتكتم في التئاماتهم فدعاه الفضول المتأصل فيهِ بالغريزة الى ان يتلصص ويتجسس ويسمع حديثهم من وراء الابواب المقفلة ، ويراقب حركاتهم من خلال ثقوب في الابواب والجدران . وتجلى له بعد المراقبة ان هولاء متآمرون يرمون الى تغيير هيئة الامبراطورية الروسية العظمى والعدول عن الاحكام الحالية واستبدالها باحكام تُدخل عليها الاصلاحات اللازمة : كتقييد الحكم المطلق والسير بموجب القانون الاساسي وتحرير الفلاحين من عبوديتهم المكروهة . واذا رفض القيصر او مانع في اجراء هذه الاصلاحات فيسقط وتسقط معهُ عائلة هولستين غوتورب المالكة التي تدعي اسم رومانوف ويعلن تأسيس جمهورية تدعى الجمهورية الروسية المتحالفة مع منح الاستقلال الاداري لسيبيريا والقوقاس وما لوروسيا (روسيا الصغرى) وبولونيا .

عندما اطلع شرڤورد عَلَى هذا سكر طرباً وفرحاً ، وعلم انهُ عثر صدفة عَلَى اثر نفيس بل كنز يجلب له الغنى والسعادة . واول ما خطر له

انهُ بكشفه هذه المخبأَات يتاح له الحصول عَلَى ما يطمح اليهِ : وهو الترقي الى رتبة ضابط ، والحصول عَلَى وسامات ومكافأة كبيرة ، فيستطيع حينئذٍ ان يكشف زواجه السري . ولم يخطر له ان عمله لهو وشاية وسعاية دنيئة . فابرز ما خطر له الى حيز الوجود وقدَّم حالاً الى الكونت اراكتشيف الهائل صديق الامبراطور عريضة رجاه فيها ان يسمح له بمقابلة القيصر لامر هامّ : هو اكتشافه مكيدة ضد الحكومة .

تحققت اماني شرفود سريعاً ، فان القيصر استدعاه عَلَى جناح السرعة وقابله شخصياً وسمع قصته وفوض اليهِ امر كشف المتآمرين ومن ينتمي اليهم والقاء القبض عليهم اينما كانوا . فتهلل واظهر في الامر حماسة وهمة وبلغت بهِ القحة ان كتب في لائحة المتآمرين اسماء من يكره من رفاقهِ الضباط والقواد الذين كانوا قبلاً يحنون عليهِ بقوت يومه ، وهم لا ناقة لهم ولا جمل في المؤامرة .

تلك زوبعة هائلة مهلكة دهمت روسيا اذ ذاك فلم تبق ولم تذر . مرت عاصفة فتركت بعدها الويل والشقاء . بيوت تكبس ، وابرياء تحبس ووشايات تُسمع ، وقلوب تدمى ، وعيون تدمع ، ثم العقابات : فبعض زاروا المنفى ، وبعض رحلوا الى الابدية عن طريق المشنقة ، وبعض فُقدوا فلم يُعلم ماذا حل بهم .

وكان شرفود يتقدم في الرتب وتبتسم له السعادة كلما زادت مصائب

العائلات المهذبة في روسيا بفقدها خيرة شبانها ، فنال رتبة ضابط ورُقي بامر ملوكي الى طبقة الاشراف مع الانعام عليهِ بلقب « الامين » لقيامه بخدمات جليلة « نحو العرش والوطن » .

ثم رُقي بعد ذلك بقليل الى رتبة ملازم ، فرتبة قائم مقام . وكان ذلك كله في ظرف ثلاثة اشهر ، عَلَى ان هذه الرتب لم تغير شيئاً من صفاتهِ الخسيسة ، كما ان لقب « الامين » لم يجده نفعاً ولم يرفعهُ من هوة سفالته ، فبغضهُ كل من عرفهُ وصار مكروهاً محتقراً ، فهجره الكل ، والقيصر نفسه اذ عرف حطة اخلاقه وخسته واعماله الدنيئة اقاله من الخدمة العسكرية واحاله عَلَى المعاش ، ولكن مرتب التقاعد لم يكن كافياً له ، فكان يتجول من حانة الى اخرى ويتجسس وينقل للشرطة ما قد يكتشفهُ من الاسرار ويقامر مع الاشقياء متلاعباً محتالاً مبرهناً عَلَى خستهِ كما رايناه .

العاصفة التي ثارت فوق راسه في الحانة سكنت حالاً لان الاشقياء يتسامحون كثيراً في ما بينهم . ولما لحظ القوم قدوم ماكاروف وتوڤاروف بادروهما بالتحية والترحاب . وصاح غلام من الجمع ، وهو فلاح لم يتجاوز الثامنة عشرة من سنيه بعد ، ولكنهُ لم يكن جديداً في اللصوصية رغم شبابه ، فانهُ كان قد فتك بوالده وهو في السادسة عشرة لكي يستولي عَلَى بضعة ريالات وهرب من القرية ومن ذلك الوقت كانت الشرطة تفتش عنهُ عبثاً :

— قد اتيتما أخيراً ! فلتحييا ! اما نحن فقد ظننا انهم سيجلسونكما عَلَى الفرس الادهم (١) وينعمون عليكما بصليب القديس اندراوس (٢) .

فصاح بهِ اللص الشيخ رئيس العصابة الهارب مرتين من سيبيريا :

— اصمت ايها الغر . لا تذكر قط اشياء كهذه ، وليحمنا الله والثالوث الاقدس من الفرس الادهم وصليب القديس اندراوس .

فقال توڤاروف مفاخراً :

— لسنا من طبقتكم ، ايها الفلاحون الاجلاف . ان الفرس الادهم وصليب اندراوس لم يخلقا لنا نحن الاشراف ، بل لكم .

وكان مكاروف قد تنحى الى جانب مع رجل يتخذ تزوير الاوراق المالية مهنة له واخذا يتحدثان همساً .

وقال احد الاشقياء :

— العفو يا سيدي توڤاروف ، فلقد نسيت انكم انتم الاشراف تسنون الشرائع وتحظرون بها علينا السرقة لكي تستطيعوا ان تنهبوا مال الشعب وتملأوا جيوبكم بهِ .

فقال له توڤاروف :

---

(١) لقب يطلقه اللصوص على عمود يربط اليه من حكم عليه بالجلد

(٢) صليب القديس اندراوس — سوط يضرب به عند الجلد ظهر المجرم العاري ضربات يشير اثرها الصليب

— اخطات يا هذا ، فما ذكرتهُ من اللصوصية في الشرع لا يدعى عندنا سرقة ، بل يعد كسباً شريفاً .

وكان الحديث يدور همساً بين مكاروف والمزور ، فقال له المزور :

— صعب عليّ جداً ان اصرف اوراقك المالية . البارحة في المطعم دفعت ورقة منها قيمتها ٢٥ ريالاً ، فاخذها صاحب المطعم وقلّبها وتاملها من كل الجهات ثم سألني : من انا ومن اين اتيت بها ؟ وقال عابساً : ان بعض الاشقياء احتال عليهِ مرتين بصرافة اوراق مزورة مثلها ، وان رجال الشحنة امروه ان يوقف كل من يأتيه بمثلها ، ثم اخذ يتشدق بكلمات شتى . وانت تعلم يا مكاروف ، ان الحكومة لا تزال مشتبهة بك في تزوير الوصية . ولحسن الحظ كان واقفاً بالقرب مني صديق اعرفهُ من الموظفين في دائرة العدلية ـ وهو نفسه الذي اخفى سابقاً من بين الاوراق الاتهامية صكك المزور بقيمة ٨٠٠٠ ريال ـ فخلصني من هذه الورطة وقال : ان الورقة جيدة ، واخذها لنفسه ، فاضطررت ان ادفع لصاحب المطعم ورقة مالية حقيقية .

— لا شك ان هذا الموظف المحتال صرفها فيما بعد باوراق جيدة من مصرف الحكومة .

— لا اشك في ذلك ، ولكن ذلك لا يهم ، بل الاهم ان ذلك الصديق الذي انقذني خرج من المطعم وجلس معي في العربة وطلب مني

حالاً خمسمئة ريال وتهددني بالقاء القبض عليّ حالاً اذا لم ادفعها .

— وانت دفعتها ؟ . . . .

— نعم ، ولكني دفعت نصفها واجلت دفع الباقي الى صباح الغد ، لانهُ لم يكن معي ما يكفي من النقود . فيجب عليك الان ان تدفعها إليّ وإلاّ . . .

— ألا تكذب يا هذا في كل ما قلتهُ ؟

— اذا كنت لا تصدقني فامضي معي غداً لترى بعينك .

— كلاّ ، شكراً لك عَلَى هذه الدعوة . اني لا اريد ان يرانا الناس سوية . اما النقود التي تطلبها فها كها .

ثم اخرج من محفظته القيمة ذهباً وسلمه اياها .

وفي اثناء ذلك كان توفاروف يتباهى امام شرفود بما ناله من الدنانير الذهبية فلمعت عينا الجاسوس الشقي طمعاً وقال :

— أذهبٌ ما اراه ؟ اذن عليك يا خلي توفاروف ان تقوم بضيافتنا . اليس كذلك يا اخوان ؟

— كيف لا . اطلب لنا نبيذاً يا توفاروف .

— نبيذاً ؟ كلا . ستذوقون اليوم شامبانيا .

فصاح الاشقياء :

« ستأتي البقية »

من الادارة

نالت الجائزة الشعرية المذكورة في الجزء الثالث من المجلة قصيدة الياس ت · صباغ المنشورة في هذا الجزء تحت عنوان «ذكرى سوريا»

***

نعلن القراء ان ادارة تحرير المجلة لاتقسر الادباء مساعديها في التحرير عَلَى اتخاذ مبادئ المجلة ونظراتها مبادئاً ونظرات لهم يمشون بموجبها ، ولذلك قد يحدث ان ننشر في المجلة ابحاثاً شتى فيها ما هو مضاد لارائنا في تقدير بعض الاشياء او انتقاد بعض الامور .

***

نذكّر المشتركين الذين لم يدفعوا بدلات اشتراكهم حتى الان انهم يقدمون مساعدة جلى للمجلة بارسالهم ما عليهم في الحين العاجل ·

***

الادارة مستعدة ان تعوض عَلَى مشتركي المجلة كل جزء يفقد بالبريد حين يصلها علم بذلك ·

اعلانات

ADVERTISEMENTS

كتب يجب ان تكون في كل مكتبة

الريحانيات

صدر منها حتى الآن الجزءان الاول والثاني وهي من انفس الكتب العصرية للكاتب السوري الشهير امين الريحاني. وفيها مقالات اجتماعية وخطب ومقالات انتقادية وشعر منثور وبذور للزارعين

ثمن كل جزء ريال — عدا اجرة البريد

النجوى

مجموعة قصص معربة عن احسن كتبة الافرنج كتولستوي وغوركي واوسكار وايلد ومارك توين وغيرهم بقلم انطون بلان

ثمنهُ خمسون سنتاً ما عدا اجرة البريد

دمعة وابتسامة

هو آخر كتاب ظهر من تآليف الكاتب المفكر المشهور جبران خليل جبران وهو مجموعة مقالات وقصص خيالية شعرية تلعب بالقلوب

ثمنه ريال — عدا اجرة البريد

اطلب هذه الكتب من مجلة الفنون

كتاب
دمعة وابتسامة

للكاتب المفكر المشهور

جبران خليل جبران

من لم يسمع بمقالات جبران البديعة التي يسميها دمعة وابتسامة ؟ ومن لا يُسر اذا سمع اننا قد باشرنا بطبعها طبعاً متقناً في كتاب سيظهر للملا عما قريب فتتخاطفهُ الايدي وتحفظهُ القلوب في اقطار العالم العربي ·

...

عما قريب سيصدر ذا الكتاب وبما اننا سوف لا نطبع سوى نسخ معدودة منهُ فنرجو محبي الادب الذين يودون اقتناءَه ان يطلبوه سلفاً لكي يكونوا عَلَى يقين من حصولهم عَلَى نسخة منهُ ثمنه ريال اطلبوه من مطبعة الاتلنتيك

AL-ATLANTIC PUBLISHING CO-
104 Washington St., New York



احدى الشركات السورية الكبيرة

اعلان

في نيويورك شركة تجارية سورية كبيرة تدير اشغالها وتلبي من يتعاملون معها بسرعة وخبرة . مركز اشغالها في الحي السوري التجاري — في محل كبير مرتب نمرته ١٠٩ شارع واشنطن . هنا يجد الزائر الخواجات بطرس كرم وشركاءه مستعدين لقضاء اشغاله وللاعتناء به ، اما اشغال هذا المحل فهي ما يأتي:

قطع اوراق سفر براً وبحراً الى كل جهات العالم ، لأن الخواجات بطرس كرم وشركاءه وكلاء لاعظم شركات البواخر والسكك الحديدية .

وهم يشترون ويبيعون جميع انواع النقود ، ويصرفون تشكات على كل البنوك ، ويتاجرون بكل اصناف البضائع الاميركية والاوروبية من دراي كودس ومجوهرات وحرير وكتان وقطن وماكنات ومأكولات وسواها — يشحنونها الى جميع البلاد باسعار متهاودة وشروط عادلة سهلة .

PEDRO CARAM & Co.,
109 Washington St.,
New York .

اقرأوا ثم جربوا واحكموا



هل من رأى يرى ارزة من أرز لبنان ولا يستحسن منظرها ويعجب بهِ؟ وهل من شجرة ذات اغصان باسقة جميلة كالأرزة؟ لا ، ولكن هنا محل بضاعته كالارزة — جميلة وذات فروع كبيرة ، وباستحقاق اتخذ اصحابه الارزة «علامة مسجلة» للبضائع التي فيهِ وهي : رسمات بديعة من الويست المديرا على لنن وكريب . طقومة مديرا معفيله ، وبغير فيله ، ورسمات عديدة . نابكنز مديرا قياسات ورسمات مختلفة . مطرزات ارلندية اصلية شغل اليد . كمونا يابانية مطرزة ، ماندرين كوس . وهنا تصنع كل انواع الكمونا المستعملة في الولايات المتحدة وتباع بكميات كبيرة وبالمفرق . والاسعار في هذا المحل متهاودة عادلة الربح .

هذا هو محل «ناصر وختن ونحاس» وهنا يستقبل التجار كامل ختن وحنا نحاس وعزيز ختن كل من يزورهم بترحاب ويرونه باعتناء ما يروم من اشكال بضائعهم الجميلة .

Naser, Katen and Nahass
85 WASHINGTON ST.,
New York

ملوك اخوان

انا نصنع في معملنا بفرنسا اجمل واحدث ما يستنبط في فرنسا من كلوني وفلورنتين وجميع انواع الخروجة شغل اليد ، وبمعملنا في فنيسيا نعمل أدقّ وافخر البضائع من الفيله والفنيس والمطرزات وجميع ما يصدر في ايطاليا من خرج او تطريز لاجل المفروشات والملبوسات ، اما معمل مديرا فقد اشتهرنا بجودة المطرزات المديرا التي نشتغلها به ، وكلها نقشات من جميع الاشكال

ولا شك ان اسعارنا تناسب عملاءنا اكثر من اسعار سوانا لان بضائعنا تباع رأساً من محلاتنا للتجار معاملينا ، وبذلك تُوفر الاضافات علَى الاسعار التي يتقاضاها غيرنا .

محلنا الرئيسي في نيويورك ، كما ترى العنوان ادناه ، ويوجد له فرعان في الولايات المتحدة وكندا وهما :

223 Notre Dame St:	*436 S. Dearborn St:*
Montreal.	*Chicago.*

ومعاملنا في

CRAPONNE, FRANCE. FUNCHEL, MADEIRA. VENICE, ITALY.

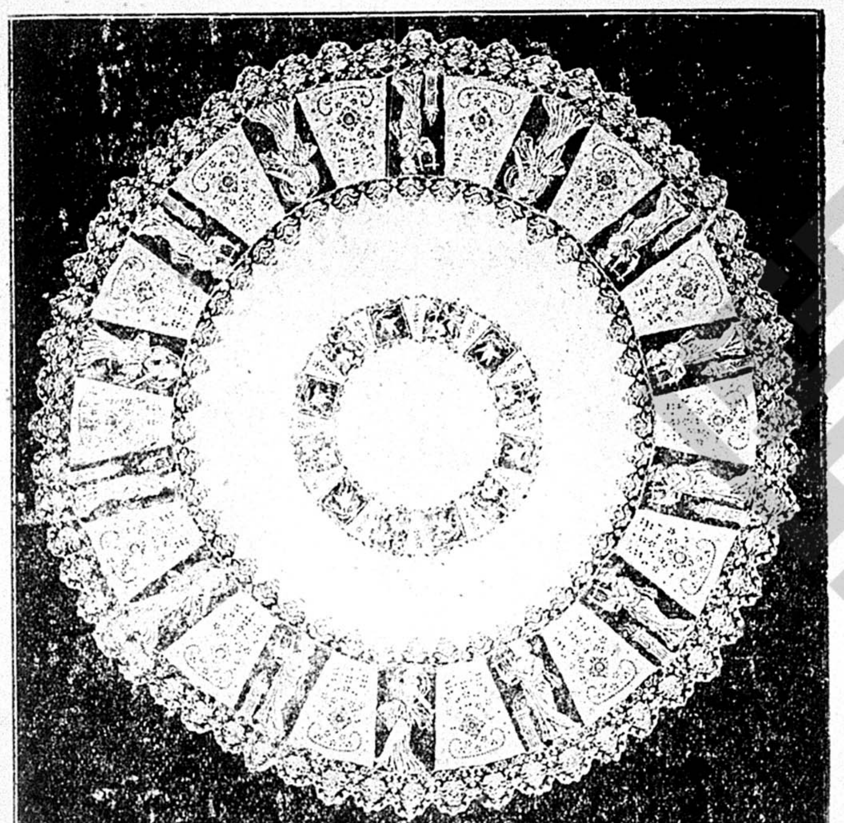
Mallouk Brothers

47-49 West St;

New York.

احدى رسمات

ملوك اخوان



غطا فيله نمرو ٣١١٧

يأتي بقياسات ٥٤ و٧٢ و٩٠

مكتبة الفنون

في ادارة الفنون مستودع للكتب العربية المتنوعة من روايات ودواوين شعر وكتب علمية وفلسفية وتاريخية · نقدم كل ما يطلب منها بكل سرعة بشرط ان يكون الطلب مرفقاً بالثمن · وهاك بعض منتخبات ما تتضمنه مكتبة الفنون

سنت	ريال	
٥٠	١	فلسفة ابن رشد
٥٠		الكوخ الهندي (لفرح انطون)
٠٠	٣	السفر المفيد في العالم الجديد
٥٠	١	دليل لبنان
٥٠	١	ذخائر "
٠٠	٤	المستطرف في كل فن مستظرف جزءان
٨٠		المشمرات (لرزق الله حسون)
٨٠		ديوان الفارض
٠٠	١	" الرافعي جزء ٣
٨٠		رواية هنيبال الفينيقي
٨٠	٣	" الساحر العظيم اربعة اجزاء
٥٠	٣	" الاميرة فوستا ستة "
٤٠		" خطيئتها الوحيدة
٨٠		" رجل العشيرة
٦٠		" ابو سمرا غانم البطل اللبناني

مطبعة الاتلنتيك

نسيب عريضه عبد المسيح حداد

١٠٤ شارع واشنطن * نيو يورك

مطبعتنا على حداثة عهدها قد اكتسبت شهرة لاتقانها ودقة ضبطها مطبوعاتها وكل ما يطلب منها من الاشغال · وهي افضل محل تحصل فيه على اتقان مطبوعاتك العربية والانكليزية ، من اوراق تجارية ودفاتر شكات وسواها ، مع المعاملة الحسنة وباسعار معتدلة ·

ان كنت في نيو يورك فاعلمنا بالتلفون ، او كتابةً ، ونحن نرسل معتمدنا ليفاوضك شفاها في ما يلزم لك ·

وان كنت في الداخلية فاكتب لنا واخبرنا عما تريد نجبك بسرعة ونفدك كل ما ترغب معرفته من اسعار وخلافها ·

والادبآء الذين يرغبون طبع مؤلفاتهم لهم اسعار خصوصية لا يجارينا فيها احد ·

هذه المجلة نموذج مما تصدره مطبعتنا

Al-Atlantic Publishing Co.
104 WASHINGTON St.,
New York
Telephone: 4836 Rector.

Statement of the Ownership, Management Etc.,
of " Al-Funoon " published Monthly at *New York,* N.Y. required by the Act of August 24,1912.

	NAME OF	POST-OFFICE ADDRESS.
Editor,	Nasseeb Arida	104 Washington St., *New York*, N.Y.
Managing Editor,	Nasseeb Arida	104 Washington St., *New York* N.Y.
Business Manager,	Nasseeb Arida	104 Washington St., *New York* N.Y.
Publisher	Nasseeb Arida	104 Washington St., *New York* N.Y.
Owners,	Nasseeb Arida	104 Washington St., *New York* N.Y.

Known bondholders, mortgagees, and other security holders, holding 1 per cent or more of total amount of bonds, mortgages, or other securities :

None

(Signature of editor, publisher, or owner)
Nasseeb Arida

Sworn to and subscribed before me this 14th day of October, 1913

[Seal.] *Isaac Cohen*
Commissioner of Deeds *N. Y. City*

(My commission expires July 15, 1915)

AL-FUNOON

" THE ARTS "

AN ARABIC REVIEW
of
LITERATURE and ART

PUBLISHED MONTHLY BY " N. ARIDA "
104 Washington Strt Nw York N. Y.

ANNUAL SUBSCRIPTION $5 EVERYWHERE

VOL.I No. 7 OCT. 1913.

الفنون

الجزء الثامن   السنة الاولى

AL-FUNOON

" THE ARTS "

October, 1913

VOL. 1   NO. [illegible]

Entered as Second-Class Matter at the New York Post Office